اقرأ

محمود تيمور

أشطر من إبليس

دار المعارف بمصر

أشطر من إبليس

محمود تيمور

أشطر من إبليس

اقرأ ١٢٢

دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

اقرأ ١٢٢ — مارس ١٩٥٣



أسماء الأشخاص

قطب الشياطين الأكبر .

بَزَعبول : زعيم الشياطين ، وخليفة شيخهم الراحل .

أرقَط : عميد المستشارين فى مملكة الجن ، تنساب على صدره لحيته ذات الشعب الخمس ، لكل شعبة لون .

إعصار : الأمين العام « لمجلس التشريع والأحكام » — (من الجن)

زمهرير : جنى من شيوخ المتزمتين ، يرأس « مجلس التشريع والأحكام » .

سبائك : جنى أمرد ، يلتمع كالفضة ، جانح إلى التجديد فى اعتدال .

أفْعُوَان : رئيس الحراس فى قصر الزعامة الشيطانية .

أنابيب : عضو « مجلس التشريع والأحكام » ، مفرط البدانة ، مترهل الجثمان ، منبعج الكرش ، عليه سيماء الغباوة . منهوم بالطعام . لا تفتر عن الطحن أضراسه .

هلاهيل : زعيمة الطبقة الدنيا من الفقراء المعوزين — (من الجن)

طُغْيان : هو « زبرجد » الأمير الإنسى ، المتنكر .

زُعرور : تابع « طغيان » ـ أى الأمير « زبرجد » ، قزم إنسى أشـــوَه .

خَلوب : قهرمانة ـ (من بنات الجن)

زغلولة : الساعد الأيمن « لخلوب » ـ (من بنات الجن)

زَفّاف : من سادة الشياطين

سرعرع : خادم « زفّاف » ـ (جنى)

حارس البرج ـ (جنى)

الأميرة « بنفسج » : ابنة عم الأمير « زبرجد » ـ(من الإنس)

قَرَنْفُل : صديق الأمير « زبرجد » ـ(من الإنس)

ياسمينة : قهرمانة مسنة ، فى قصر الأمير « زبرجد » (من الإنس)

رئيس الخدم ، فى قصر الأمير « زبرجد » .

الفصل الأول

قاعة الزعامة الشيطانية فى الكهف الأعظم .

قطب الشياطين ممدد على وطاء من حسك ، لحيته الزرقاء تفترش صدره ، وقرناه الفارعان يتمايلان يمنة ويسرة ، وبين حين وحين يهتز ذيله فيحرك الغطاء الذى يتدثر به ، فتبدو قدماه ذواتى حافرين مشققين .

يتململ قطب الشياطين فى رقدته تململ المحتضر .

« أرقط » عميد المستشارين ماثل قبالة الفراش تغمره الحسرة . يتطلع حوله بين فترة وفترة مرتقباً أن يقدم أحد .

حراس على الفجوات المظلمة التى هى أبواب القاعة . شراذم من الشياطين تتجمع وراء هذه الفجوات مستطلعة ، ثم لا تلبث أن تتفرق .

يقدم رسول ، فيسر كلمة إلى « أرقط » .

قطب الشياطين : (متطلعاً فى جهد إلى عميد المستشارين) : إيه يا «أرقط» ! ألم يقدم « بزعبول » بعد ؟

أرقط : جاء رسول يا مولاى ينبىء بقرب مقدمه . إنه يجتاز المسالك العلوية . . .

القطب : حسناً . ضع يا « أرقط » تحت رأسى وسادة من حجر الصوان ، إنه ليطيب لى أن أريح رأسى عليه .

يعجل « أرقط » بالوسادة إلى القطب .

أرقط : أما من شىء ترغب فى أن تسره إلىّ ؟

القطب : سأفضى بسرى إلى من له السر .

أرقط : أمرك يا مولاى . . . ولكن ألست عميد المستشارين فى دولتك المجيدة : دولة الأبالسة العظام . أثمة شك فى إخلاصى لزعامتك ، وإخلاصى فوق الشبهات ؟

القطب : ترفّع عن صغائر الآدميين يا « أرقط »

أرقط : (فى لهجة المستنكر) : مولاى !

القطب : (فى ضعف وتخاذل) : أمتبرم أنت بقولى ؟

أرقط : (فى خشوع) : الطاعة لمولاى .

يسمع قرع صنج يتوالى فى رنة مصمتة .
الشياطين تتجمع على الفجوات ترقب .

القطب : (يعلو برأسه قليلا يتسمع) : ها قد أقبل من فُرضت عليكم طاعته بعدى . . .

يبدو « بزعبول » الزعيم الفتّى ، خليفة قطب الشياطين . متحير النظرات . يرتمى عند قدمى قطب الشياطين .
« أرقط » يتباعد قليلا .
قطب الشياطين يوجه الكلام إلى « بزعبول » :

أى « بزعبول » . يا خليفتى من بعدى ، ويا من سيئول

إليك الحكم فى دولة الأباليس . . .

بزعبول : (وهو لايزال خافض الرأس فى غمرة الأسى يهمهم) : مولاى !

القطب : أمسك عليك وقتك لا يضيع فى وداع يذهب سدى .
إنى أعرف حبك إياى ، وإعظامك شأنى . أصغ إلىّ .
عما قليل تخبو شعلة حياتى ، وما هى إلا أن أذهب
روحاً زرقاء تأخذ مكانها فى برج الظلمات . اسمع . . .

« أرقط » يرهف السمع عن كثب . .
قطب الشياطين يوجه الحديث إليه :

يا « أرقط » . إن قرنىّ ما برحا كما ألفتهما قادرين أن
يتصيدا بخفايا الصدور . . . أنت شديد الفضول .

يعلو برأسه جاهداً ويصيح :

فلينصرف من فى القاعة .

الأحراس ينحنون فى خشوع ويمضون .
ستر من الدخان ينسدل على الفجوات .
« أرقط » يخطو متثاقلا فى منصرفه . يقف
أمام مقعد حجرى غليظ متشاغلا بإماطة الغبار
عنه . القطب يصيح مرة أخرى :

ألم تسمع ما قلت يا « أرقط » ؟

أرقط : أيشملنى أنا أيضاً هذا الأمر يا مولاى ؟

القطب : أتريد أن أسلط عليك ذنَبي سوطاً تفهم به ما أعنى ؟

ينصرف « أرقط » على كره وذلة .

« القطب » يوجه الكلام إلى « بزعبول » :

سأحُور بعد لحظة دخاناً ، فأفارقكم إلى غير مرجع آخر الأبد !

بزعبول : (فى ألم وحسرة) : مولاى . . .

القطب : أصغ إلىّ يا بنىّ . إنى سائق إليك حديث الوداع ، فأحسن حفظه ووعيه ، ولا تحسبنّه من لغو القول

يبدو عليه الجهد

لقد تأمرت عليكم ألوف السنين ، فلم آل جهداً فى العمل وَفق شريعتنا المثلى ، ولم أتوان لحظة فى إعلاء كلمتنا على ربوع المشرق والمغرب .

بزعبول : (على حاله خافض الرأس) : هذا حق يا مولاى ، فقد ازدهرت فى عهدكم الأغر مملكتنا العتيدة .

القطب : ولكننى يا « بزعبول » لا أكتملك خبيئة نفسى : إننى غير راض عن جهدى ... إننى مستصغر ما صنعت يدى .

بزعبول : (يسمو برأسه دهشاً) : مولاى . . . لم يسبقك فى الحكم زعيم أتى ما أتيته . إن مملكتنا بفضل حزمك . . .

القطب : (مقاطعاً) : تريد أنى أحسنت القيام بواجبى نحو العشيرة ، وأنى أبليت بلاء عظيماً فى خدمة المبادئ الموروثة . . . ربما كان هذا حقاً . . . ولكن . . .

بزعبول : (زائغ النظرات) : أفصح مولاى .

القطب : إن قيامى بإغواء أبناء آدم ، والتغرير بهم — على نحو ما هو مفروض فى مبادئنا المقررة ، ومسجل فى دستورنا الأعظم — أمر بدا لى الآن غير ذى بال . . . ماذا كان من صنعى يستوجب أن أفاخر به ؟ أعترف جهرة بأنى لم أصنع شيئاً . . .

بزعبول : مولاى !

تسمع همهمة فى الخارج .
يقدم رئيس الأحراس « أفعوان » .

أفعوان : عاد « سبائك » من جولته فى الأرض . فهل يؤذن له فى المثول ؟

بزعبول : أنظره قليلا يا « أفعوان » . . .

القطب : ماذا ؟

بزعبول : (للقطب) : « سبائك » عاد من جولته فى الأرض يا مولاى .

القطب : فليقدم علىّ . شدّ ما أنا شيّق إلى معرفة ما كان من أمره

فى دنيا الآدميين . . . وماذا بلغ من مغامرته هنالك .

« بزعبول » يشير إلى « أفعوان » رئيس
الأحراس إشارة باستدعاء « سبائك » .
« أفعوان » ينصرف .

أتذكر مهمة « سبائك » ؟

بزعبول : أذكر أنك بعثت به إلى الأرض لكى يضل كبيراً من أهلها أمعن فى الصلاح والتقوى ، حتى أصبح القدوة الحسنة والمثل المضروب .

القطب : أتذكر متى أرسلنا « سبائك » ؟

بزعبول : منذ عشرين عاماً ، أو يزيد .

القطب : واعجباً ! أعشرون عاماً تنقضى فى إغواء آدمى عُرف بالصلاح ؟ أنحن حقًّا أبالسة ؟

يبدو « أفعوان » .

أفعوان : (صائحاً) : « سبائك » رسول الإفساد فى الأرض .

يقدم « سبائك » ملتمعاً كالفضة ، متقدماً
نحو القطب ، ثم يركع مقبلا ذيله .
يبدو « أرقط » فى أثره .

القطب : انهض يا « سبائك » وأخبرنى بما تم على يديك من جلائل الأعمال .

سباثك : (ناهضاً) : مولاى مطلع على الظاهر والخفىّ. إنك لمحيط بكل ما كان . . .

القطب : أرغب فى أن يسمع « بزعبول » القصة من فمك . وليكن قولك موجزاً مفيداً . اذكر أن ليس فى وقتى سعة .

بزعبول : ماذا تم ؟

سباثك : لقد هوّى زعيم الصلاح والتقوى فى الخطيئة الكبرى ، حتى احتوته أعماق السجون .

بزعبول : مرحى ! هنيئاً لك ما قمت به من غواية وإفساد .

القطب : « سباثك » . . .

سباثك : مولاى .

القطب : كن صريحاً وقل . . . أجدير أنت بالتهنئة كاملة ؟

سباثك : مولاى ! ألم يأثم الرجل ويفتضح أمره ، بعد أن قضى حياة كلها طهر وعفاف ؟ !

القطب : ألم يتم لك ذلك بعد عشرين عاماً صحبته فيها ؟ . . أتعدّ هذا نجاحاً عظيماً ؟ !

سباثك : ألم تزلّ قدمه بعد ثبوتها ؟ ألم تكن الخطيئة ختامه المحتوم ؟

القطب : حسناً . . . قصّ علينا قصتك .

سباثك : كان هدفى الأول منذ حللت الأرض ، وقع بصرى

على الرجل ، أن أدفعه إلى اقتراف الموبقات الثلاث :
الكذب ، والسرقة ، والقتل . وقد جهدت فى سبيل
ذلك ما جهدت ، ولقيت من العنت ما لقيت ، وكدت
أخفق فيما إليه هدفت ، لولا . . .

القطب : ماذا ؟

سبائك : لولا أن استعنت أخيراً بحكمتك العظمى يا مولاى ،
وهى أن الأنثى بريد الخطيئة المأمون . . .

القطب : لم تكن حكمتى أنا وحدى ، بل هى حكمة الأزل ،
منذ كان خروج « آدم » من جنة الخلد .

سبائك : أعترف بأنى غفلت عن هذه الحكمة بادئ الأمر ،
ولكننى فطنت إليها من بعد ، فوسوست لعذراء من
الغيد الحسان أن تغوى الرجل ، وكانت فقيرة مغمورة ،
فأثرتُ فى جنبات نفسها غريزتين : غريزة الطمع فى
مال الرجل وجاهه ، وغريزة حب التأمر عليه ،
والاستئثار به ، فما عتمت أن اندفعت فى طريقها
ناشطة ، وما أسرع أن انزلق الرجل فى حمأة الإثم .

أرقط : وأين من ذلك الكذب والسرقة وسفك الدماء ؟

سبائك : إن إغرام الرجل بهذه الغادة تردّى به فيما أردتُ له من
شرور وآثام :

بزعبول : أكذَب وسرَق وكان قاتلا ؟

سبائك : من جراء تهالكه على هذه الغادة ، وابتغاء مرضاتها ، أتى كل منكر .

القطب : (فى شىء من التهكم) : وهذا كله بفضل غوايتك ؟!

سبائك : أترانى يا مولاى قصرت فى أداء واجبى ؟

القطب يتضاحك فى ضعف .

يبدو على « سبائك » الضيق والقلق .

أرقط : هلا تنزّل مولاى فأبان لنا فيم يضحك ؟

القطب : إنها لقضية طريفة حقاً ، وإنى لكاشف خباياها لك ، وسيكون هذا آخر درس ألقيه عليك . . .

« سبائك » يرهف السمع

القطب : إن بطلك الآدمى العظيم ، أو بالحرَى غريمك العتيد ، عاش عمره متنكباً عن مغامرات الشباب . وكانت له زوج تكبُره ، فعاشرها خامد الحس ، ينظر إليها كما ينظر إلى أمه التى ولدته ، وفى قرارة نفسه عاطفة أصيلة نحو المرأة فى أنوثتها الجياشة . وكان حرمانه وكبت عاطفته يدفعانه إلى أن ينفس على الذين يستمتعون بالحب والجمال ، فلا يملك إلا أن يزرى بهم ، ويعيب سلوكهم ، متخذاً من حياة الحرمان والكبت التى

يحياها سوطاً يجلد به غير الكابتين والمحرومين . . . وطالما اتّهمه من حوله بأنه فاقد الرجولة ، فاستوثقت فيه عقدة الدفاع عن نفسه ، وما إن سنحت له فرصة التعرف إلى هذه العذراء ، واجتلاء ما لها من مفاتن ، حتّى ثارت كوامنه ، فأقبل على الفتاة فى غير حيطة ولا تبصر وما زال يتحدر حتّى التقمته الهوة السحيقة .

بزعبول : إذن هو صريع نوازعه النفسية .

القطب : أصبت . إنه صريع ملابسات حياته ، وما تعقد من نزوات فى نفسه .

سبائك : نفسه ؟

القطب : أجل ! نفسه . . .

بزعبول : (بعد تفكير) : أى حق لنا إذن — نحن معشر الشياطين — فى أن نفخر بمهارتنا فى الإغواء والإفساد ؟

القطب : (منتشيا) : أصبت . وهأنذا أراك تنفذ إلى بواطن الأمور . إن الشيطان الأكبر لبنى آدم هو نفسه ، نفسه هو .

أرقط : أيكون « سبائك » قد أخفق إذن فى مهمته ؟

القطب : لقد نجح « سبائك » لا شك ، نجح فى تهيئة الأسباب التى لا بد منها لإفساد الرجل الصالح ، ولكنه نجاح

غير خليق بفخر عظيم .

يبدو على « سباتك » الضيق

لا تأس يا « سباتك » . لقد نهضت فى نطاق قدرتك بعمل لا يستهان به ، أيقظت فى هذا الآدمىّ نوازعه المستكنة . لا أغمطك حقك .

سباتك : مولاى !

القطب : لم يكن فى وسع غيرك من أبناء جلدتنا أن يفعل فوق ما فعلت . إنى أهبك «وسام الغواية» الأكبر . هاكه ...

يقذف بالوسام إلى « أرقط » ، فيتناوله ، ويعلقه على صدر « سباتك » .

والآن ، أرغب فى خلوة إلى « بزعبول » .

« أرقط » ، و « سباتك » ، ينحنيان لقطب الشياطين وينصرفان .
القطب يقول « لبزعبول » :

ها قد رأيت يا « بزعبول » .

بزعبول : مولاى !

القطب : اعترف لى بما تبينت ، ولا تكابر فيما سمعت . ماذا ترك لنا الأناسىّ من فخر ؟ ألا ترى أنهم تغالوا يا بنى فى مقدرتنا على الغواية والإضلال ؟ نحن اثنان لا ثالث

معنا . فلنتكاشف، ولنعرض أعمالنا مع البشر . ماذا تقول فى هذه الشرور والآثام التى يقترفها الإنسان على وجه الأرض ؟ أتراها مما كسبت أيدينا ؟ تكلم «بزعبول»

بزعبول : (مفكراً) : كلا مولاى الزعيم .

القطب : إن الإنسان ليجنى الشر مطمئناً على عمد ، ثم لا يلبث أن يُنحى علينا باللائمة فى يسر ، وكأنه ينفض عن منكبيه غبار التبعة ، ويلقى على كاهلنا الوزر كله ، فتقر عينه بأنه من الذنب برىء . . . ونخرج نحن من المعركة بالشنعة وفضوح السمعة . . . ساء ما صنع بنا الإنسان اللئيم !

بزعبول : ولكننا — يا مولاى الزعيم . . .

القطب : خلّ عنك المكابرة ، ولا تعز إلى نفسك مهارة أنت منها خلىّ . ولا يكن مثلك مثل الذين يسرهم اكتساب الشهرة بالتلصص وإن لم يكونوا لصوصاً مهرة . . . ذلك ضعف آدمى ، فلتترفع عنه أنت ، يا من سيئول إليك الأمر من بعدى فى دولة الأباليس . لقد جاهرتك بالحق ، لتنجلى عن عينيك غشاوة الباطل . . .

يضعف صوته

بزعبول : وماذا تريدنى أن أفعل ؟ !

القطب : أريدك على أن تحسن التفكير والروية ، وأن تعمل .

يزداد صوته ضعفاً . يشير إلى قارورة
كثب منه

بزعبول : (يناوله القارورة) : إليك يا مولاى . . . فاسلم لنا
وأقم بيننا ، لا عدمناك زعيماً .

القطب : (يشتف ما فى القارورة) : أسرفت فى قول معسول
خير لى ولا لك فيه . حسبك . أما رحلتى عنكم وشي
فأمر واقع لا محالة . . . استمع إلىّ . إنى مستخلف
على هذه المملكة العظمى ، فماذا أعددت لها من م
وخطة ؟ لا تقل إنك متأثر خطاى . لقد أوضحت
أننى لم آت شيئاً يذكر فيشكر . . .

بزعبول : كيف أستبين طريقى إذا لم أحذ حذوك ، وأقفُ أثر
أفتنى يا مولاى فديتك . . .

القطب : افتح فتحاً جديداً ، وشق أفقاً بكراً .

بزعبول : مولاى !

القطب : ايت بمعجزة تثبت بها أننا أهل لغير الشر .

بزعبول : مولاى !

القطب : ليعلم البشر أن الشر منهم وإليهم ، وأن الشر فى بيئ
ناجم ، وفى نفوسهم كمين ، فليعفونا من تهمة نحن

بُرَآء، وليخلونا من مهمة لم تكن لنا بها يدان، ثم ليراجعوا أمرهم ، وليحملوا وزرهم . . . آن لهم أن يتحلوا بشيء من فضيلة الحق . . . وآن لنا أن نعدل إلى ميدان جديد !

يبدو جثمان قطب الشياطين وقد أخذ يحترق على مهل ، وينبعث منه دخان أزرق ، فيجثو « بزعبول » أمام الجثمان ، والدخان حوله يتكاثف ، فتخبو الأضواء وتعم الحلكة ، ثم يدوى صوت انفجار عنيف .

تنقشع سحب الدخان شيئاً فشيئاً ، وتعود الأضواء إلى سابق عهدها ، فيرى « بزعبول » على حاله جاثياً أمام السرير وقد اختفت جثة قطب الشياطين . ينهض « بزعبول » ، ويتلفت حوله ، ثم يتخذ لنفسه سمت الزعامة .

بزعبول : (صائحاً) : يا هيئة المستشارين ، من أبالسة الجحيم ... يا زعماء مملكة الظلام .

ينفذ من الفجوات رهط من زعماء الشياطين ، بينهم « أرقط » و « سبائك » و « زمهرير » ، و « إعصار » . ومن بينهم شخص ملثم ينتبذ مكاناً قصيا ، وقد تلفف فى عباءة خشنة فضفاضة .

« بزعبول » يعتلى المنصة ، وقد اعتمد بيده على
مرزبة ضخمة :

إنى أحمل إليكم تحية زعيمنا الراحل ، تحية وداعه الأخير

تطاطىء الرءوس ، وتهتز الأذناب ضاربة
الأرض ، وتسرى همهمة تفجع رأسى :

كان زعيمنا العظيم يفكر فى خيركم وحسن سمعتكم
حتى النفس الأخير . . .

جمع الشياطين يرسل شهيق اللوعة والحزن

وقد أودع صدرى وصية جليلة ألزمت نفسى تنفيذها ،
على عظم خطرها . فهل أنا واجد منكم — أيها الرفاق —
ظهيراً أشد به أزرى ، وأستعينه على أمرى ؟

الجمع : كلنا لك عون وظهير .

أرقط : هل لمولاى الزعيم الجديد أن يبسط لخلصائه وأنصاره ،
ماذا من أمر هذه الوصية الخطيرة ؟

بزعبول : إنها شديدة الإيجاز ، بعيدة المغزى : افتح فتحاً
جديداً ، وشق أفقاً بكراً . وأت للناس بمعجزة تثبت
لهم أننا أهل لغير الشر .

أرقط : عجباً ! إذا لم نكن نحن للشر وحده أهلا فلأىّ شىء
نكون ؟ !

همهمة من هنا وهنالك تتجاوب بها أرجاء القاعة

زمهرير : (يتقدم منحنياً أمام « بزعبول » فى إباء) : وماذا يرى زعيمنا الجديد ؟

بزعبول : أريد يا « زمهرير » أن نثبت لبنى آدم أننا أبرياء مما يكسبون من إثم وعصيان ، وأن الشر فى بيئتهم ناجم ، وفى نفوسهم كمين ، فلا يظن أحد منهم بنا الظنون .

أرقط : وما لنا ولهذا كله ؟ وهل بيننا وبينهم ود نخشى أن تتقطع بنا وبهم أسبابه ؟

بزعبول : ولم لا نحاول أن نجلو للناس ما خفى عليهم من أمر أنفسهم ، فيكون لهم فى ذلك تبصرة ، ويكون لهم من ذلك صلاح .

الحاضرون يهمهمون ويسترسلون فى تضاحك مكبوت

أرقط : هذه محاولات لا تدخل فى نطاق ما توسدنا من عمل ، وما نيط بنا من مهمات ، فأنت تكلفنا ما لم نألف ، وما لا يقع لنا ببال . . . نحن نصلح البشر ؟!

يتضاحك

محاولة مكفول لها الإخفاق !

بزعبول : (غاضباً) : علينا أن نحاول وحسب .

أرقط : هذا مروق من دستورنا الشيطانى المقرر ، وتمرد على شريعة إبليس الأعظم !

بزعبول : (صائحاً) : لا مروق ولا تمرد . . .

أرقط : (متعالياً بصوته) : تلك حَيدة واضحة عن طريق السلف الموقر !

بزعبول : (وقد رفع المرزبة فى وجه « أرقط » فيدوى الرعد) : أثمة معارضة لباكورة أحكامى ؟ !

الصمت يغشى المكان

أرقط : لك الطاعة أيها الزعيم .

تجمع من الزعماء ، تسوده همهمة

بزعبول : إلىّ يا « إعصار » . . .

إعصار : لبيك أيها الزعيم !

بزعبول : تقدم فصارحنى برأيك .

إعصار : ليأذن لى الزعيم أن أجهر له برأيى فى غير مواربة ، أنت مثلى عليم بأن هناك تقاليد موروثة فى قانوننا المقدس . . .

بزعبول : نصوص منها ما لا يقف عثرة فى سبيل أداء رسالتنا ، والمعول على الجوهر لا على المظهر . . . وإن قطب الشياطين الراحل كان يعرف من صنوالحنا فوق ما نعلم ، وقد ترك لنا من بعده وصيته ، وإنا لعاملون على تحقيقها

حتى ترضى عنا روحه فى برج الظلمات !

همهمة من الجمع

ما زلتم تهمهمون !

سباثك : لمست من قول الزعيم أنه يهدف إلى تبديل أصيل لقانوننا الأعظم .

بزعبول : نعم ! هذا ما هدفت إليه . . .

سباثك : ليس هذا التبديل إلا تجديداً شاملا فى مهمتنا . . . وما أنكر ضرورة التجديد .

زمهرير : بل إنه لأمر جد خطير . . .

بزعبول : فليبلغ من الخطر ما هو بالغ ، ولكن النفع كل النفع فيه . لقد لبثنا نحن معشر الأبالسة السنين بعد السنين ، بل القرون تلو القرون ، دون أن ينالنا من التطور نصيب . . . ألا بئس الجمود !

سباثك : التطور ليس منه بد .

أرقط : (لبزعبول) : ليس التطور ما أردت بنا أيها الزعيم ، إنما أردت بنا أن نهدم القواعد ، ونقلب الأوضاع .

زمهرير : إيانا والتطرف، فجنِّبْنا مخاطر الجموح أيها الزعيم الجديد .

الشخص الملثم (يتقدم صائحاً) : ما دام الإصلاح والخير هدفنا

فلا اكتراث بشىء . . .

« زمهرير » ، و « أرقط » ، و « إعصار » ،
يتساءلون فى صوت خافت عن هذا الشخص الخفى

سباثك : ليس من الحكمة أن ننقل قدمنا خطوة قبل أن نقدر لها
موضعها ، فلا نستبدل بقديمنا جديداً حتى نستبين :
أشر يحيق بنا من جرائه أم رشد ؟

الجمع يتنازعون الآراء ، همهمة تستبين فيها
كلمة « التطرف » حيناً و « التدرج » حيناً .
أصوات تغمغم : « مجلس التشريع والأحكام . . .
لا بد أن يفصل فى الأمر بادىء بدء » .
التصايح يشتد

بزعبول : (صائحاً) : صمتاً !

الصمت يغشى المكان

دعونى أفكر وأدبر فترة . . .

يسود الظلام أنحاء المكان .
ضوء وردى يركز على رأس « بزعبول » فى حين نرى
بعض الأضواء تمر على هامات الشياطين ، فنراهم
وقد تفرقوا شيعاً يجادلون ويناقشون .
يعود الضوء إلى سابق عهده .

بزعبول : (وقد بسط قامته) : علام عولتم يا رفاق ؟ . .

زمهرير : وحق إله الجحيم إنى لا أعرف لتلك الفتنة داعياً ، ولا أفقه لهذا التشاحن كنهاً ، ما لنا ولهذا الخلاف؟ أجدّ شيء فى مجتمعنا يدعو إلى تغيير وتبديل ؟

الشخص الملثم : إنك لا تستشعر ما فى مجتمعنا من سوء يستوجب التغيير والتبديل . . .

همهمة من « زمهرير » ، و « أرقط » ، و « إعصار » ، وتساؤل عن هذا الشخص الخفى

زمهرير : أى سوء هذا الذى تتحدث عنه ؟ ماعلمنا لأحد من شكاة ، ولا لمحنا على أحد من تذمر . إن الشعب الشيطانى يحيا رافهاً فى حبور . . .

يتقدم الشخص الملثم جريئاً ينضو عن وجهه لثامه ، ويخلع عنه عباءته ، فيبدو فى أسمال .

الشخص المجهول : (مضطرم العينين ،قائلا « لزمهرير») : انظر إلى أيها الشيخ العتىّ ، أهذه هى الرفاهة التى ينعم بها شعبك الشيطانى ؟

الجمع يهمهم : « هلاهيل »... « هلاهيل »

هلاهيل : أجل أنا « هلاهيل » ، زعيمة الطبقة الدنيا : طبقة الفقراء الكادحين .

توجه كلامها إلى « بزعبول » :

لم يكن لنا من حياة السعداء نصيب أيها الزعيم ، وقد عشنا فى غفلة طوال السنين ، وإنا لمستيقظون اليوم ، فطالبون بحقنا فى حياة كريمة رافهة .

أرقط : (شامخ الأنف) : من أدخل هذه الوَقاح ؟

يلتفت إليها

كيف سوّلت لك نفسك أن تسربى إلينا،وتنتظمى فى عدادنا ؟

هلاهيل : إنى أمثّل أهل طبقتى فى مملكة الشياطين ، ومن حقى أن أرفع ظلامتى إلى الزعيم .

أصوات : (فى غضب) : فلتخرج . . . فلتخرج .

سبائك : (فى ملاينة ، محاولا أن يطفىء ثائرة الغاضبين) : رفقاً يا كبراء الأباليس . . . أناة وحكمة !

إعصار : أى حكمة فى أن نصابر هذه الوَقاح ؟!

هرج ومرج ، وأصوات محتدة عالية

بزعبول : (رافعاً مرزبته صائحاً) : صمتاً وطاعة !

الجمع ينحنون

يتقدم « بزعبول » من « هلاهيل » يتفحصها

لا أذكر أنى رأيتك من قبل ! ألقيت زعيمنا الراحل يوماً ؟

هلاهيل : جيل بيني وبينه أيها الزعيم الجديد . . . لقد حجبوا عنه ظلامتى .

« سباثك » ، وقد استهوته فتنة « هلاهيل » ، يحدق فيها مشغوفاً .
« بزعبول » يدور حولها هنيهة ثم يقف قبالتها ، مبتسماً .

بزعبول : إنى لأتبين خلف هذه الأسمال إشراقاً وصباحة . . . ليتك ترين من أمر نفسك ما نرى ، إذن لتعهدت نفسك بالرعاية ، وإذن لكان لك فى مجتمع الأبالسة شأن أى شأن !

سباثك : أنَّى لها أن تُعنى بنفسها ، وهى زعيمة طبقة تكدح لتجد الكفاف ؟

هلاهيل : أحسنت قولا ، فابسط قضيتنا لهؤلاء السادة الذين لا يعرفون كيف نحيا وكيف نجهد ؟

أرقط : (ثائراً) : جديدٌ ما نسمع اليوم . . . وإنها لهزة تصيب ما تعارفناه من نظام الطبقات .

سباثك : من حق هذه الزعيمة أن تفيض فى شكواها . إنها منا ،

عضو عامل فى دولتنا ، فلا نأخذ عليها الطريق .

بزعبول : سننظر فى أمرك يا « هلاهيل » ، فاهدئى بالا ، واطمئنى إلى أن ظلامتك ملاقية منا رعاية أىّ رعاية .

إعصار : حقًّا إن زعيمنا الجديد يقلب أوضاعنا الموروثة وتقاليدنا الموقرة رأساً على عقب .

أرقط : (بعد أن يغمز « إعصاراً » غمزة ذات مغزى) : ما دام مولاى يبغى أن يحدث حدثاً جديداً فى دستورنا المقرر وكياننا القائم ، فليسمح لنا ونحن أسناد مملكته ، ووجوه معشره ، أن نطلب إليه الاحتكام إلى « مجلس التشريع والأحكام » . . . وما بنا أن نعارضه فى أمر ، ولا أن نغالبه على رأى ، ولكن الروية خير ، والشورى سداد .

إعصار : بوصفى الأمين العام « لمجلس التشريع والأحكام » أوافق على دعوة المجلس لهذا الأمر العظيم .

زمهرير : وأنا بوصفى الرئيس الأعلى للمجلس أقر هذه الخطة .

بزعبول : تُجمعون على دعوة « مجلس التشريع والأحكام » . . . حسناً ، ولكن أتزعمون أن فى ذلك نفعاً لما نريده من تجديد النظم والأوضاع ؟

أرقط : أفى ذلك ريب ؟ تلك كانت سُنة سلفكم الراحل ، فكلما حزَبه أمر دعا المجلس له ، واستمع لرأيه فيه .

بزعبول : ما أذكر أن المجلس أجدى فى شىء مما عرض عليه .

زمهرير : إن المجلس يتألف من كبراء الأباليس ، وإنهم ليتطارحون القول فى حرية . فإذا أقروا أمراً كان زبدة الرأى . . .

بزعبول : ماذا أفاد المجلس فى ماضيه القريب أو البعيد ؟

أرقط : ألم ينظر فى قوانين ونظم لها كبير الأثر فى خير المملكة وضبط أمورها ؟

بزعبول : ربما كان القليل منها لا يخلو من خير وجدوى .

هلاهيل : أما أكثر هذه القوانين فإنما كان لرعاية المصالح الشخصية . . . مصالح الوجوه والكبراء .

جمع المحافظين يحدجها بعيون متقدة

أرقط : (لبزعبول) : أهذا مبلغ تقدير الزعيم الجليل لمجلس التشريع والأحكام ؟

هلاهيل : إنك لتذكر بالخير هذا المجلس العظيم ! وكيف لا وقد فسح لك مجال الدفاع عن صوالحك ؛ فأقر لك من النظم ما ييسر لك الثراء العريض ، ويحمى صوالحك الخاصة ؟ وكيف لا يقرك على ذلك رفقاؤك فى المجلس ، وهم على شاكلتك ذوو صوالح ، وأهل ثراء ؟ . . .

ضجة ، واحتداد من جماعة المحافظين

زمهرير : (موجهاً الكلام إلى الزعيم) : لقد كفلنا لكلٍّ حريته فى المعارضة والنقاش، فسلكنا فى ذلك سبيل الديمقراطية الحق .

هلاهيل : الديمقراطية ! كلمة رنانة خلاّبة حقًّا ، ولكن أين هذه الديمقراطية فى معناها الأصيل ؟ كل منكم يفسر معنى الديمقراطية والحرية على الوجه الذى يرتضيه ، متخذاً منها مطية لإدراك ما يهدف إليه . يا ويل الديمقراطية الحق ممن يتكلمون بلسانها ، ويتشدقون بمعناها !

زمهرير : (فى استنكار شديد) : كفى أيها الزعيم . . . !

بزعبول : أليست الديمقراطية أن نبيح لكل امرئ حرية القول ؟

زمهرير : إن ما نسمعه اليوم خروج على النظام العام ، وهدم لما تواضعنا عليه من عرف وتقليد .

بزعبول : وإنى أجيزه ، لأنه لا يخلو من حق .

إعصار : أتجيز القول بأننا لم نكن أمناء على مثلنا الأعلى فى الحكم ، أعنى الديمقراطية ؟

بزعبول : كفكف من حدّتك يا « إعصار » . . . تدبر مليًّا ما نردده من كلمات المثل العليا ، والفضائل الرفيعة ، واعلم إن لم تكن تعلم أن هذه المعانى لا وجود لها إلا فى رءوس الفلاسفة وأخيلة الشعراء ، أما عند التطبيق فكل فضيلة

من الفضائل الرفيعة تتخذ لون صاحبها ، وكل مثل من الأمثلة العليا يتشكل وفق أهواء من يتحلى به .

زمهرير : إذن لا رجاء لنا فى إصلاح ، ما دامت الفضائل الخالصة ، ليس لها فى الحقيقة وجود ، ولا يمكن اتخاذها كما هى فى مدلولها الصحيح .

بزعبول : إصلاح نظمنا فى الحياة وقف على إصلاح نفوسنا قبل كل شىء ، ونحن مجبولون على النقص ، وفى فطرتنا تكمن الآفات والعيوب ، فلكى نقترب من مستوى الفضائل ، وندنو من أفق المثل ، علينا أن نكافح أنفسنا ، حتى نعالج ما بها من عيوب ونقائص ، وإذن تصلح أحوالنا قليلا قليلا . . .

هلاهيل : لا مناص من تغيير أنظمتنا فى مجتمعنا المضطرب، وإن الكثير من هذه الأنظمة ليعوزه التجديد أيها الزعيم . . .

بزعبول : سأضع برنامج إصلاح شامل ، وأرغب إليكم أن تعينونى على تنفيذه .

سبائك : (مستوضحاً) : دون استشارة « مجلس التشريع والأحكام» أيها الزعيم ؟

بزعبول : ألا ترى أن أساليب النقاش والجدل فى المجالس تعوق خطا الإصلاح ؟

أرقط : إنى ألمح أيها الزعيم فى قولك نزوعاً إلى معالجة الأمر على نحو يتجافى عن الشورى .

سبائك : هذا ما يسمونه فى الأرض مذهب « الدكتاتورية » .

بزعبول : لا عبرة بالأسماء . . . فما دام العدل أساس الحكم فليكن الاسم ما يكون ، ولتكن الصورة ما تكون .

أرقط : إنها لفكرة خطيرة أيها الزعيم .

بزعبول : عجباً ! كنت من أنصار هذا الرأى يا « أرقط » ومن قادة محبّذيه . . . ألا تذكر؟

أرقط : هذا صحيح . . . ولكن الآن . . .

بزعبول : ولكن الآن تغيّر رأيك ، إذ شعرت بأن منفعتك لم تعد مكفولة بهذا الرأى .

أرقط : إنى لا أنشد إلا المنفعة العامة . وحكم الشورى هو خير الأحكام .

بزعبول : ألا ترى أن حكم الجماعات فى كثير من الأحيان تعصف به الأهواء ؟

سبائك : مهما يكن من أمر — أيها الزعيم — فإن حكم « الديكتاتور » وإن صلح وقتاً لا يصلح فى كل وقت . . . شاهدت بعينى رأسى أمثلة من ذلك على وجه الأرض .

بزعبول : فلنترك أرضك وشأنها .

سباثك : أيسمح لى الزعيم أن أكون صريحاً ، وقد لمست فيه رغبة صادقة فى الإصلاح ؟

بزعبول : . . . . قل ما عندك .

سباثك : كن على ثقة أيها الزعيم أن الأرض منبت لكثير من طريف الأنظمة والآراء . وأنها ميدان عظيم تتصارع فيه الأفكار . فما ضرنا لو انتفعنا بما هنالك من تجارب؟

أرقط : نأخذ ما ينفعنا ، ونترك ما نخشى منه الضرر .

سباثك : وإنى لأرى أن أصلح نظام لنا هو الشورى على ما فيها من مغامز وهنات .

بزعبول : إذا ارتضيتموها جميعاً فلا مانع عندى من وِفاقكم عليها .

الجمع : نعم . . . إنا بها راضون .

بزعبول : سنجمع « مجلس التشريع والأحكام » وسنرى ماذا هو فاعل ؟

هلاهيل : أطلب أيها الزعيم أن أكون بين أعضاء المجلس لأعرض عليه مطالبى العادلة .

إعصار : لم يكن يعوزنا إلا أن تشركنا فى عملنا هذه الشّغوب !

أرقط : إن تقاليدنا تقضى ألا نشرك هذه الطبقة فى « مجلس التشريع والأحكام » .

بزعبول : أمركم عجَب . . . ما دمتم تطالبون بالشورى وباتخاذ

مثل الديمقراطية ، فكيف تمنعون عنصراً من عناصرنا أن يشارك برأيه فى المجلس ، ويعرض مطالبه عليه ؟

أرقط : إنها التقاليد ، ولها حكمها المقرر . . .

سباثك : مطلب « هلاهيل » لا ضير منه ، وإنى أرتضيه . لزام أن نسمع شكواها وننصفها . . . إن الطبقة التى تمثلها هى الطبقة العاملة الناشطة ، ولها خطرها فى مجتمعنا العتيد .

تصايح يختلط فيه الإنكار بالموافقة

بزعبول : (وقد رفع مرزبته صائحاً) : أتريدون دعوة « مجلس التشريع والأحكام » لإقرار الوضع الجديد ؟

الجمع : نعم . . . نعم .

بزعبول : إذن فلتقبلوا معكم « هلاهيل » ، ولتكن بين الأعضاء .

هرج ومرج ، وتصايح .
الضوء يتزايل . تسمع أنغام موسيقية صاخبة .
يسود الظلام على حين تتواصل الأنغام .
بعد فترة ينطلق النور ، فإذا القاعة قد تحولت قاعة « مجلس التشريع والأحكام » .
وفود الشياطين تملأ رحابها جماعات جماعات .
جماعة « أرقط » تضم « زمهريراً » ، و « إعصاراً » ، و « أنابيب » وهو لا يفتأ يحشو فمه بالطعام .

« سبائك » مع « هلاهيل » ومن إليها ، فى
موقف ألفة وانسجام .

زمهرير : (متحدثاً إلى جماعته ، مشيراً إلى « هلاهيل » و « سبائك » وهما يتناقلان الحديث فى بشاشة وأنس) : ياله من منظر عجيب !

إعصار : مغازلة وغرام ، فى « مجلس التشريع والأحكام » !

أرقط : ما أسقم ذوقه !

إعصار : لم تبق لى ثقة « بسبائك » هذا ... إنه لطول إقامته فى الأرض عاد إلينا بجرثومة من جراثيم البشر !

زمهرير : أية جرثومة ؟

أرقط : جرثومة المغازلة !

أنابيب : حقًّا ما أسخفها . إنها لا تسمن ولا تغنى من جوع ، كان أولى به أن يأتى لنا بشىء مفيد .

إعصار : مفيد . . ؟ ماذا تعنى يا « أنابيب » ؟

أنابيب : مفيد . . . أعنى شيئاً يملأ البطون .

يحشو فمه بحفنة مما فى يده من الطعام متضاحكاً
«أفعوان» يقدم ، ويقرع الأرض بهراوة طويلة.
الجمع ينتبه .

أفعوان : (صائحاً) : زعيم الأباليس « بزعبول » .

« بزعبول » يبرز من بطن الأرض ناشراً جناحيه
الجمع ينحنى له تحية وتكريماً .

بزعبول : يا كبراء القوم : لقد جمعنا « مجلس التشريع والأحكام » وفق ما أشرتم به . فأناشدكم إله النار أن تعملوا معى فى أمانة وإخلاص ، وأثبتوا أنكم شياطين ، وأنكم بهذا اللقب خلقاء .

الجمع : مرحى . مرحى .

« أنابيب » يزدرد طعامه وهو فرح طروب

إعصار : أما انتهى لك مطعم يا « أنابيب » ؟

أنابيب : وماذا فى أن أطعَم يا « إعصار » ؟

إعصار : نحن فى المجلس . خل عنك الطعام لوقت غير هذا الوقت . إن حزب المعارضة أمامنا بالمرصاد .

أنابيب : (نافضاً يده فى استياء) : حسن . حسن . . . لقد فرغتْ يدى . . . سوف لا أجد ما أطعَمه !

بزعبول : أبدأ حديثى إليكم : أخبركم بأنى قد أعددت لكم طائفة من القوانين الجديدة التى تهدف إلى الإصلاح . ولكننى قبل أن أذيعها عليكم أذكّركم بأن أحكم قانون وأهداه ينقلب إلى شر جسيم إذا أنفذتموه وفق الأهواء والمطامح (يلتفت إلى « سبائك ») « سبائك » !

سبائك : لبيك زعيمى . . .

بزعبول : حدّثهم ماذا فعل « بنو آدم » بما أتيح لهم من جلائل القوانين . . .

سبائك : إن المولى الأعظم إله الأرض والسماء قد حبا الأناسيّ بقوانين أنزلها فى كتبه المقدسة ، قوانين إلهية لا ينفُذ إليها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، لو عملوا بها كما تلقوها لما كان على ظهر الأرض من فساد .

إعصار : كيف كان صنيعهم بها فيما ترى يا « سبائك » ؟

سبائك : تناولها نفر من القادة والزعماء فنحلوها صبغة أهوائهم ، وأفاضوا عليها ما أفاضوا من ذات نفوسهم ، وقالوا ذلك هو مفهوم القانون السماوى ، وتلك هى حقيقة الشريعة المقدسة ؛ فلم تعصمهم من فساد ، ولم تهيئ لهم من أمرهم رشداً . . .

فى أثناء هذا الحديث ، يشغل « أنابيب » بالتحدث إلى جيرانه ، طالباً إليهم إسعافه بطعام ، فينحازون عنه ، ضائقين به ، مجتهدين فى إسكاته .

هلاهيل : إن القانون القويّ يَحُور على يد الضعفاء هزيلا ، والقانون الضعيف يغدو على يد الأقوياء من المصلحين قويًّا بالغ الأثر .

سبائك : القانون يقاس بتنفيذه ، لا بوضعه وتشريعه .

بزعبول : فلنكن — أولا — صلحاء مخلصين ، تكن قوانيننا صالحة مفيدة . أتعاهدونني أن نعمل على هذا الأساس؟

الجمع : (صائحاً) : نعاهدك .

بزعبول : إذن لننتقل إلى جدول الأعمال يا « إعصار ».

في هذا الوقت ، يتدانى « أنابيب » من « إعصار » يريد أن يتحدث إليه .

إعصار : (« لأنابيب » ناهراً إياه) : ألا يهدأ لسانك لحظة ؟ بحق إله النار صمتاً ، ولتصغ إلى ما يقال .

« أنابيب » ينحنى موافقاً في غضاضة ، ثم يتنحى ركناً ، ويجلس في استرخاء ، ولا يلبث أن يسبل جفنيه .

« إعصار » يخرج ورقة طويلة يبسطها أمامه ، ثم يقول :

جدول الأعمال ليس فيه إلا أمر واحد خطير : الزعيم يطلب أن تفوضوا إليه القيام بتجربة جديدة طريفة ، يثبت بها « لبني آدم » أن الشيطان ليس مصدر الشر ، بل إنه قادر على أن يبعث في الإنسان الخير كل الخير .

أرقط : فليسمح لي الزعيم أن أقول : إن لهذا الطلب شقين ، الشق الأول : مبدأ التفويض ، والشق الثاني : جعل مبدإ الخير من أعمال الشيطان .

بزعبول : أصبتَ . . .

أرقط : أيرغب سيدى الزعيم فى أن يسير وَفق قانوننا الأعظم ؟

بزعبول : هذا هو مبدئى فى الحكم .

أرقط : إذن ، يجب أن نتفحص الأمر بدقة فى غير تعجل .

سباثلك : ولكن الأمر واضح ، وهو كذلك عاجل ، ففيم التفحص والإمهال ؟

زمهرير : ربما كان الأمر كما تقول أيها الزعيم واضحاً ، ولكن الأمور التى تتعلق بالمبادئ العامة ليست من الأمور العاجلة ، وفقاً لما جرى عليه المجلس فى عهوده المتطاولة ، فلندرس ما أنت عارضه علينا دراسة خبرة وأناة .

بزعبول : وماذا فى أن تعدّوا الأمر عاجلا ، فتنظروا فيه الآن ؟

إعصار : لى اقتراح . . .

بزعبول : قل ما عندك .

إعصار : نحيل كل شق من الموضوع إلى لجنة خاصة تتولى إعداد تقرير فيه .

أرقط : أوافق على تكوين لجنتين لدراسة الموضوع .

بزعبول : أما زلتم تتعلقون باللجان ؟

سباثلك : اللجان مقبرة المشروعات ، وهذا ما يشكو منه أهل الأرض . . .

هلاهيل : أثبتت التجربة أن اللجان تعوق خطط الإصلاح ومشروعاته .

هنا يستيقظ « أنابيب » ... ويحتد فى التصفيق متهللا مرحباً بأقوال « هلاهيل » . ينظر إليه جماعة الحزب المحافظ ، فيسكتونه ، فى حين أن جماعة « هلاهيل » تتضاحك متغامزة .

إعصار : (« لأنابيب ») : لأى شيء تصفق يا غبى ؟ إنهم يعارضون فكرتنا .

أنابيب : حسناً . . . حسناً (لا يلبث أن يغفو)

سبائك : شر ما ابتُلى به النظام الديمقراطى كثرة اللجان .

أرقط : لا يقول هذا القول إلا جاهل مأفون .

سبائك : جاهل مأفون ! ؟

زمهرير : (مشيراً إلى « سبائك ») : أطلب تنحية هذا العضو المشاغب عن المجلس .

هلاهيل : أئذا عرض امرؤ منا رأيه فى حرية ، تطلبون تنحيته ؟

بزعبول : سأمهلكم أسبوعاً . أسبوعاً واحداً لدرس ما عرضته عليكم ، ولى فيكم بعد ذلك رأى .

زمهرير : نشكر للزعيم رعايته للأوضاع الدستورية .

هنا يرى « أرقط » ، يتحدث جانباً فى اهتمام إلى « إعصار » .

سباتك : بذلك نكون قد اختتمنا هذه الجلسة .

هنا يعلو شخير « أنابيب » ؛ فيهزه من بجواره، فيستيقظ مندفعاً فى تصفيق ، وما إن يرى الجمع حواليه يرمقه بنظرات استخفاف وغضب حتّى يتمكن فى مجلسه .

أرقط : الجلسة ما زالت مستمرة ... وما فرغنا منه هو الأمر الذى عرضه علينا الزعيم . فلنا أن نفيد من انعقاد المجلس .

إعصار : لا شك أن هيئتنا الموقرة يسرها أن تنظر فى بعض المسائل المهمة ، ولو لم تكن مدرجة فى جدول الأعمال .

أنابيب : (متعالياً بكرشه) : إننا أتينا للعمل لا للرقاد .

لا يلبث أن يطبق جفنيه

بزعبول : العمل خير ، فانظروا ما تريدون .

إعصار : إقرار مشروع القناطر المائية ، لتنظيم الرى فى منطقة « الشروان » الجدباء ، وإمدادها بالماء ، إنه مشروع كبيرٌ نفعه للمملكة .

بزعبول : وإلى من تكلون هذا المشروع ؟ من يقوم ببناء هذه القناطر العظيمة ؟

أرقط : (يتقدم فى حماس) : ليس فى المملكة أيها الزعيم من

يستطيع النهوض بهذا المشروع غير السيد « إعصار »

بزعبول : حسناً . . . حسناً . ولكن . . . يجب أن نحيل المشروع إلى لجنة .

إعصار : لجنة ! ولم ؟

أرقط : يجب البت فى الموضوع الآن .

سباثك : وفيم العجلة ؟

إعصار : لأنه أمر يفوق فى خطره كل أمر ، إذ هو وثيق الصلة بصالح المملكة .

هلاهيل : أوثيق الصلة هو حقاً بصالح المملكة ؟ أم بصالحكم أنتم الثلاثة ؟

تشير إلى « أرقط » ، و « إعصار » ،
و « زمهرير »

إعصار : (صائحاً) : ما هذه الأقوال الجارحة ؟ إنى أعلن استنكارى لهذا التهجم .

أنابيب : (مستيقظاً صائحاً) : نعم . نستنكر بشدة .

لا يلبث أن يغط فى نومه

بزعبول : لقد عرضت عليكم مطلبى فى شأن الإصلاح ، وهو أمر كما ترون عظيم ، فلم تطوع لكم أنفسكم أن تنظروا فيه ، بل رأيتم إحالته إلى لجنتين تدرسانه . وسوف تطول

لحاكم ، وتمتد أظفاركم ، قبل أن تَبُتّوا فى شأنه .

أرقط : ما فعلنا إلا ما يمليه علينا نظامنا المقرر .

زمهرير : أوضاعنا تنص على هذا الإجراء الذى طالبنا به .

بزعبول : لست مخالفاً لكم نظمكم وأوضاعكم ، ولكنى مُنْظِرِكم أسبوعاً ترون فيه رأيكم ثم يكون لى من بعده قول فصل .

زمهرير : أما مشروع القناطر فإنه مستوجب الأخذ فيه منذ الآن، لخير المملكة . . .

هلاهيل : حقـًا ، لخير المملكة . . . اسمعوا يا كبراء الأبالسةَ ، إن الذى سيفيد من بناء القناطر هو « إعصار » ، فإنه الطامح إلى القيام ببنائها ، وله من وراء ذلك كسب عظيم . وأما الذى سيفيد من تيسير الرى بعد إقامة هذه القناطر فهما السيدان المبجلان : «أرقط» ، و «زمهرير» ، فمنطقة « الشروان » الحدباء ليست إلا إقطاعية عظيمة لهذين السيدين . . . أهذا خير المملكة فيما ترون ؟ !

استنكار صاخب يبديه جماعة المحافظين .
تهلل وتصفيق بين جماعة « هلاهيل»

بزعبول : صمتاً يا قوم ! . . . . . الأمر الذى فيه خير المملكة تلقون به إلى لجنة ، لكى تقتله بحثاً كما يقول أهل الأرض ، حتى لا تقوم له قائمة . أما الأمر الذى فيه

مصلحتكم الشخصية فأنتم مسارعون إلى إنجازه فى سرعة البرق . . . ما بَرِحتم كما أنتم !.. قلت لكم وما زلت أقول : أصلحوا من أمر نفوسكم تنفعكم قوانينكم ، وتجرّدوا من أهوائكم تستقم أموركم . . .

« هلاهيل » ، و « سبائك » ومن معهما يصفقون .

الآخرون متذمرون .

يستيقظ « أنابيب » مصفقاً بعد ذلك فى جلبة فيسكته رفاقه .

أمَرْنا بوقف أعمال المجلس ريثما يتم إصلاحه على نهج جديد ، لكى يتطهر أعضاؤه من أهواء نفوسهم ، فنراهم يُعلْون الصالح العام على الصالح الخاص !

يرفع « بزعبول » المرزبة ، ويلوح بها فى وجوه الجمع ، فيتكمشون أمامه طائعين . .

الفصل الثانى

على ظهر الأرض فى أطراف الوادى الأجدب .
برج سحرى للشياطين ، عن كثب من بحيرة « الأجاج » .
ثغرة فى الصدر ، يبدو خلفها ماء البحيرة ، وتتراءى منها سحب تتعاقب .
« خلوب » القهرمانة ، مع « زفاف » مساعدها .
« زفاف » يروح ، ويجىء ، متطلعاً من الثغرة ، ضيق الصدر ، يزفر .

زفّاف : (يعقد ذراعيه أمام « خلوب ») : أف . . . أف .

خـَلوب : ما هذاالوجه الجهم أيها السيد « زفاف » ؟ !

زفاف : ليس من المستغرب أن يكون وجهى على ما وصفت يا سيدتى القهرمانة « خـَلوب» ، بل إنى لأعجب كيف لا يزداد جهامة ؟

خـَلوب : إنك سريع الاهتياج .

زفاف : ألا يحق لى أن أهتاج ، وقد طال انتظارنا للسيد الرسول؟ لقد أُمِرنا أن ننتظر ، وإنا منتظرون . . . كم لبثنا من الوقت على هذه الحال ؟

خلوب : خفف من غلوائك يا سيدى « زفاف»... عما قليل يأتى رسول زعيمنا «بزعبول» . أتراك ضائق الصدر بالانتظار ،

أم أنت ضائق بحياتك هنا معى على ظهر الأرض ، فى معزل عن موطننا الأصيل ، موطن الشياطين ؟

زفّاف : إن طاب لك قول الحق صارحتك بأنى ضائق بالأمرين معاً . . .

خلوب : ولكن انتقالنا إلى الأرض وسكنانا إياها ، شرف لنا أى شرف ، فإن « بزعبول » العظيم نَدَبنا للإشراف على تنفيذ تجربته العظمى .

زفاف : حقّاً. إنه لشرف عظيم لنا أن نعاون الزعيم فى تجربته ، ولكن ماذا أنا مفيد من هذا الشرف العظيم ؟

خلوب : سمعت أنهم سيمنحونك « وسام الثعابين » الأكبر .

زفاف : أية ثعابين ، يا سيدتى ؟ . . . وما انتفاعى بذلك الوسام الأكبر ؟

خلوب : أتستهين بهذا التشريف يا « زفاف » ؟

زفاف : دعينى من شىء لا يغنى من جوع ولا يروى من ظمأ .

خلوب : ما أحقر أمانيك يا سيدى « زفاف » !

زفاف : تحتقرين أمانىّ ؟ فليكن ما تشائين ، فما يقع لى ذلك ببال . . . قصارى ما يعنينى أن أصيب كسباً ليومى ؛ ونفعاً فى غدى . . . لقد أعددت مشروعاً جليلا كنت أزمع تقديمه إلى « مجلس التشريع والأحكام » . . .

خلوب : أى مشروع تريد ؟

زفّاف : أن يستبدلوا بالأوسمة الشيطانية عطايا ومكافآت . . . أقصد الضياع والقصور وما إليها . . .

خلوب : إنى أعلم ما ترمى إليه يا « زفاف » . . . أنت راغب فى امتلاك البقعة الواسعة : بقعة الصحراوات الزُّرْق . . . ولكن لن يتحقق لك هذا المطمح اليوم . ذهب عهد الإقطاعيات الضخمة ، وإن الإصلاح ليقتضى أن تكون الأرض رقاعاً محدودة يمتلكها كثير من الناس . . .

زفاف : أترين ذلك خيراً يا سيدتى « خاوب » ؟

خلوب : وهل فى ذلك خلاف ؟ . . ألم تر ما كان من الاستغلال الطائش ، ومن الغنى الفاحش ؟

زفاف : أى استغلال تعنين يا سيدتى الطيبة القلب ؟ إن الاستغلال قائم منذ الأزل ، ولكنه يتخذ على تعاقب الأزمان شتى الصور والألوان . . . ثمة قوىّ وضعيف ، فلا بد أن يكون ثمة غِنًى وفقر . . . أتطمعين يا سيدتى فى أن يسود عالمنا عدل ومساواة ؟ . . هيهات !

خلوب : إنى أكره منك هذا التشاؤم . . . علينا أن نسعى سعينا ، ونحاول الإصلاح جهدنا . . . ذلك ما بنى زعيمنا عليه عزمه ، وهذا برنامجه .

زفاف : لك ما ترَين ، أما أنا فقانع بما أرى . . . ولست محاولا تغيير طبعى . أجدى علىّ أن أحيا وفق غرائزى ونوازعى .

خلوب : يا للضعة . . . يا للحقارة . . .

زفاف : ما أضيع الجدال معك فى هذه الشئون . . .

يتضجر ويزفر

متى يأتى الرسول ؟ لقد أعددنا التقرير منذ وقت طويل . أف . ضاق ذرعى بما أنا فيه .

خلوب : كنت أظن أنك تستمرئ حياة الأرض ، مثوى بنى « آدم » .

زفاف : أتسمّين مثابتنا هذه قطعة من الأرض أيتها السيدة « خلوب » ؟ أى أرض هذه التى نسكنها ؟ منطقة موحشة جرداء ليس بها من أنيس ! . .

خلوب : آه . . . فهمت . إنك تريد أن تسكن المدن فى صحبة البشر . لقد فتنتك ألوان الحياة هنالك منذ بعثك عميد المستشارين « أرقط » لتحبيب الخمر إلى الناس ، فلم تعد تطيب لك عشرة إخوانك من الجن . . .

زفاف : كبرت كلمة تتهمينى بها أيتها السيدة « خلوب » . . .

خلوب : لقد أوفدوك لتنشر السكر بين الناس ، فلم يخفق

مسعاك ، ولكنك عدت إلينا مخموراً لا تفيق . . . إنى لأعجب من قوة هذا الآدمىّ على إضلال غيره . . . قادر هو على أن يفسدنا نحن . . . نحن الشياطين . بالأمس أرسلوا السيد « سباثلك » ليفسد فى الأرض ، فعاد إلينا يحمل جرثومة الفساد الأكبر . . .

زفاف : تعنين جرثومة الحب !

يتضاحك

إن « سباثلك » ما زال غارقاً حتّى أذنيه فى هذا الحب .

خلوب : وأنت تذهب إلى الأرض داعياً إلى الخمر ، فتعود إلينا وقد سرت إليك عدواها ، وتمكنت منك جرثومتّها .

زفاف : بهتان . . . بهتان . . .

خلوب : (تميل عليه آخذة بيده) : اعترف لى ، ألست بالخمر وَلوعاً ؟

زفاف : يا لها تهمة باطلة ! . . . أقسم لك . . .

مشيراً إلى رأسها

بهذه القرون البنفسجية التى تزين رأسك ، إنى . . .

خلوب : (مقاطعة إياه) : لا أسمح لك أن تقسم بقرونى البنفسجية . أنت شيطان مداور لا تصارح ، إنك

سكير وحق النار . ولقد نلت جزاء فعلتك ، إذ نفاك عميد المستشارين « أرقط » إلى الغار المهجور . . .

زفّاف : مظلوم أنا وحقك مظلوم . . .

خلوب : مظلوم ، أو غير مظلوم . . . لقد نالك من العقاب جانب ، ثم عفا عنك السيد « أرقط » من بعد ، وندبك هنا لتصحبنى . . . نِعْمَ اختياره لى !

زفاف : ماذا تنقمين من اختياره ؟ . . إنه اصطفى لك خير من يعينك فى مهمتك على ظهر الأرض . . . أفى ذلك ترتابين ؟ . . . أجيبينى متى نفرغ من هذه المهمة ؟

خلوب : تسألنى متى نفرغ ، ونحن لمّا نبدأ . . . اعلم أنه ليس من شأننا أن نعلم .

زفاف : زعيمنا الأكبر « بزعبول » صاحب عجائب . . . وما نملك معه إلا الإذعان والتسليم .

خلوب : إنى شديدة الإعجاب به زعيماً مطاع الرأى ، مهيب الجانب . . . لقد تيسر له أن ينفذ فكرته ، وأن يظفر بالتفويض الذى طلبه ليزاول التجربة العظمى . . .

زفّاف : يريد إثبات أمر عجب ، أن الشيطان فى مكنته القيام بغير الشر ، وأنه قادر أن يصنع الخير لبنى البشر . . . أليس هذا أعجب ما وقع فى عالم الشياطين حتى اليوم ؟

يرى جسم على شكل صاروخ كبير ، ينفذ من الثغرة فى صوت راعب . ينتفض الصاروخ فإذا هو الشيطان «سرعرع» ولا يلبث أن ينحنى أمام « خلوب » و « زفاف » .

خلوب ، وزفاف : أنت « سَرعرع » !

سرعرع : أحييكما أبهج تحية .

خلوب : طاب يومك . أين كنت فى غيبتك يا « سرعرع » ؟

سَرعرع : كنت يا سيدتى فى زورة قصيرة لموطننا الأكبر ، موطن الجن فى مغاوره السحيقة .

خَلوب : أتترك الأرض دون أن آذن لك ؟ كيف تخليت عن حراستك ؟

سرعرع : أستميح مولاتى العفو . لقد حملتْ إلىّ الريح نبأ روّعنى . أخبرتنى أن أبى على شفا هلكة . فاستأذنت رفيقى ، وانطلقت عجلان لألحق بأبى ، أتزود منه بنظرة وداع .

خلوب : وهل أدركه الموت ؟

سرعرع : لقد أسعِف قبل أن يحين حينه ، فتناول جرعات من ذلك الدواء الجديد « عصارة السموم السليمانية والحوامض الزرنيخية » ، وما هى إلا أن دبت الحياة فى أوصاله ، واستقرت روحه بين جنبيه .

زفاف : حسناً . . . حسناً . وما عندك من أخبار وطننا العزيز ؟

سَرعرع : إنه فى هِياط ومِياط . . .

زفاف : كيف ؟

سرعرع : تفجؤه كل يوم منازعات ومجادلات . . . مجالس تنعقد وأخرى تنفض ، ولجان تتألف ولجان تُلغى . يا رب الجحيم : نجنا من الكرب العظيم ، نجِّ أمة الجان من هذه اللجان ! . . وليت الأمر بنا واقف عند حد . . . إنكما لم تعلما آخر بدعة . . .

يغرق فى الضحك ممسكاً ببطنه :

حقّاً ما أحدثها بدعة . . . أرهفا سمعيكما لى . . .

خَلوب : ماذا ؟

« سرعرع » يتواصل ضحكه ويترنح

زفاف : قل . . . تكلم .

سرعرع : آخر بدعة ، يا خليلى ، هى إنشاؤهم مجلساً سموه « مجلس الأمن » !

زفاف وخَلوب : (يتبادلان النظر فى عجب) : « مجلس الأمن » ؟ ماهذا الخبَل ؟ !

سرعرع : (مؤكداً) : نعم أنشأوا « مجلساً للأمن » .

خلوب : لا أفهم ما الذى يقصدونه « بمجلس الأمن » هذا . . .

سرعرع : إنهم أقاموا هذا المجلس لفض المنازعات بين ممالك الجن وإنصاف دويلاته الصغيرة ، ومنح الحريات لشعوبه التى لم تنل حرياتها . . . وقصارى مهمة هذا المجلس : وقف الحروب وإقرار السلام .

خلوب : إنه إذن لمشروع عظيم .

سرعرع : (ضاحكاً ملء شدقيه) : مشروع عظيم ! . . . حَسْبُ هذا المشروع أنه من صنع « ابن آدم » وتفكيره . وأننا نتلقاه من يد السيد الموقر « سباثك » . . .

خلوب : ما دام غرض المجلس تجنيب الشعب الشيطانى ويلات الحروب ، ونشر السلام فى ربوعه ، فلتكن الفكرة من وحى « ابن آدم » أو وحى « ابن آوى » !

سرعرع : يا سيدتى الطيبة القلب : كان علينا قبل اتخاذ هذه الفكرة أن ننظر ماذا صنع « مجلس الأمن » على ظهر الأرض ، أأدى رسالته حقاً أم أصبح بؤرة تتجمع فيها الضغائن والأحقاد ؟ أخشى أن يكون هذا المجلس كصنوه على ظهر الأرض : خير مستقر تنمو فيه بذرة الحرب وتترعرع !

خلوب : أوضح . . .

سرعرع : لم يكن «مجلس الأمن» إلا مجمع دول كبيرة تتنازع فيما

بينها على ابتلاع الدول الصغيرة باسم المحافظة عليها .

زفّاف : المحافظة عليها بابتلاعها ؟ !

سرعرع : نعم . هكذا يفعلون . . . المحافظة عليها فى البطون . وهل هناك مكان آمن من هذه البطون العظيمة ؟

خلوب : ويحهم كيف يحكمون ؟

سرعرع : والآن . بعد أن ابتلعت هذه الدول الكبيرة الأمم الصغيرة ووضعتها فى بطونها بأساليب المحالفات والمعاهدات ، ما زالت الدول الكبيرة تحس الجوع ، فهى تتلفت يمنة ويسرة لتبحث عما تتبلغ به ، فينظر بعضها إلى بعض شزراً . وإن كلا منها لتشحذ أسنانها ، وتتلمظ بريقها ، مرتقبة فرصة الوثوب على صاحبتها ، لتشبعها تمزيقاً وابتلاعاً .

زفاف : مدهش ! ... مدهش !

سرعرع : هـــذا هو « مجلس الأمن » الذى اجتمع على ظهر الأرض ليرفع راية السلام !

خلوب : وبعد هذا يزعمون أننا نحن الذين نوسوس لأهل الأرض بالحروب . قسماً بإله النار ، لو أنصفوا لتركونا وشأننا إبراء لنا من تهمة الإفساد . . .

زفاف : لقد بدأتُ أعتقد أن زعيمنا « بزعبول » على حق فيما فكر فيه وفيما أنفذه .

خلّوب : ليثبت أننا — معشر الشياطين — لسنا مصدر الشر ، وأن علينا القيام بتجربة جديدة هى عمل الخير .

سرعرع : ألا بربك اشرحى لى ما فعله زعيمنا الأكبر فى تجربته العظمى . لا علم لى حتى الساعة بما كان من أمره .

خلوب : أنت شديد الفضول يا « سرعرع » ، ولكنى أعجب لك ما الذى تبغى أن تعرفه أيها البليد ؟ أتراك لا تدرى نبأ الأميرة « أزاهير » ؟

زفّاف : (وقد أشار إلى الثغرة ، تتراءى خلفها البحيرة والسحب) : انظر يا « سرعرع ». ألا تعلم يا غبىّ ما هذا الذى تشهده حيالك ؟

سرعرع : إنها البحيرة العظيمة المسماة : « بحيرة الأجاج » . لم تكن من قبل فى هذه المنطقة . ولكن زعيمنا « بزعبول » أوجدها من العدم بنفثة من نفثات السحر .

زفاف : والمنطقة التى تحيط بهذه البحيرة ؟ !

سرعرع : منطقة بشعة جرداء ، لا تصلح أن تكون مأوى لشىء ، حتى الحشرات والهوام . وإنها لقاصية عن العمران ، وقد تخيّرها « بزعبول » على هذا الوضع ليبلغ فيها غرضه المنشود .

خلّوب : أية حكمة فى اختيار زعيمنا « بزعبول » تلك المنطقة على هذا الوضع العجيب لإجراء تجربته فيها ؟ !

سرعرع : هذا مايشق عليّ فهمه . لقد أنفقت طويل وقت أفكر ، فما استطعت إلى الفهم سبيلا .

زفّاف : ما أغباك !

سرعرع : فلنفرض جدلا أنى غبيّ ، ألا يحق للغبيّ أن يستنير ؟ أرجو منكما أن تكشفا الغشاوة عن عينيّ ، وأن ترفعا لى الحجاب عن هذا اللغز العصىّ .

زفاف : أمن العقل أن يجرى « بزعبول » تجربته فى منطقة عامرة بالسكان ، ليلمّ الناس بمشروعه فيفسدوه ، ويحيطوا بتدبيره فيحبطوه ؟

خلوب : ألست تراه قد أقام الأحراس حول البحيرة ، ليحفظها من أعين الآدميين أهل الفضول ؟ ألست أنت بين هؤلاء الأحراس الذين يحفظون هذه البقعة ، ويمنعون أن يقترب منها آدمىّ ؟

سرعرع : لقد حاول — مرات — بعض الصيادين الأغبياء أن يقتربوا من البحيرة بغية الصيد ، فأثرنا فى وجوههم الأعاصير العاتية ، حتى جلوا عنها . . . لقد آمن بنو « آدم » بأن هذه المنطقة عليهم حرام . . .

خلوب : من يدرى ؟ ربما عادوا يحاولون الارتياد ، فلزام أن نكون منهم على حذر .

سرعرع : (يهرش رأسه ، فى حيرة) : ولم يخشى الزعيم «بزعبول» على تجربته من « بنى آدم » ؟

زفاف : لأن ربيبته « أزاهير » من بنات الإنس . . .

خلوب : . . . لقد اختطفها الزعيم وما برحتْ طفلة رضيعاً ، اختطفها من كوخ يأوى إليه آدمىّ من معشر الرعاة ، ومالبث الزعيم أن أنزل الطفلة هذه البقعة ، حيث أقام لها القصر البلورىّ الفاخر وسط البحيرة ، وأحاط القصر ببستان يحفل بالطرائف ، ثم نشر السحب فوق سطح البحيرة ، إخفاء للقصر عن العيون .

زفاف : واستقدم لهذه الطفلة السعيدة جمع الحواضن والمربيات ، لينشئنها على أقوم السبل ، ويلقنّها الحكمة والخير ، ويبعدن عنها دواعى الشر ، ويجعلنها بحق جديرة بذلك اللقب الذى أطلقه عليها : « فُضلىَ العذارى » . . .

سرعرع : (مفكراً ، مهمهماً) : وفيم هذا العناء كله ؟

خلوب : (صائحة) : سحقاً لغباوتك !

سرعرع : (صائحاً) : لقد اعترفت جدلا بأنى أغبى أغبياء الجنّ ... ألا يحق لى أن أسأل ؟

زفاف : اسأل سؤالا معقولا .

سرعرع : وهل الغبىّ فى عرفكم يسأل سؤالا معقولا ؟ !

خلوب : ماذا تريد أن تعلم أكثر مما علمت ؟

سرعرع : أريد أن أتبين العلاقة بين ربيبة الزعيم التى يلقبونها « فُضلى العذارى » وبين التجربة العظيمة التى يقوم بها زعيمنا ليثبت للملأ أننا على عمل الخير قادرون .

زفاف : (يرهف السمع لصوت خفى ، هامساً فى انزعاج) : صمتاً . . . صمتاً . . .

يعود إلى إرهاف السمع :

أحس تموجات خاطفة فى الهواء !

سرعرع : (يرتجف وتصطك أسنانه) : تموجات فى الهواء . ماذا تعنى؟

خلوب : أعنى أن الرسول قادم .

سرعرع : إذن فاسمحوا لى أن أنصرف على الفور . سأعجل إلى مكانى فى الحراسة على شاطئ البحيرة .

خلوب : انتظر .

سرعرع : ماذا أنتظر ؟ . . . أنتظر السؤال والتحقيق ، والقذف بى فى السجن أسفلَ سافلين ؟ لا . . . لا ... دعنى !

زفاف : (هامساً بشدة ، شارعاً قرنيه) : قلت صمتاً .

سرعرع : أطعتُ . . . صمتاً . صمتاً .

زفاف : إن الرسول قادم يقيناً . . . ولكنى أتبينه رسولا له خطره .

سرعرع : (فى خوف بالغ) : ماذا تقصد بأن له خطره ؟

خلوب : أتقصد أنه . . .
زفاف : (يهمس بشدة) : قلت صمتاً .

يرهف قرنيه

سرعرع : أمرك مطاع ، إنا صامتون ، لاننبس .
زفّاف : رسول خطير الشأن . . . قرناى لا يكذ بانى أبداً !

فى هذه اللحظة يهبط « أرقط » من السقف
فى زفيف من الريح ، ولا يكاد يظهر حتى يعدو
« سرعرع » مستخفياً فى خوف

خلوب : السيد « أرقط » العظيم ؟
زفاف : عميد المستشارين . . .

« خلوب » ، و « زفاف » ينحنيان أمام « أرقط »
فى إجلال بالغ له

أرقط : طاب يومكما .
زفاف وخلوب : يومك أطيب يا سيدى العميد .
خلوب : ظننّا أن الرسول من جماعة الرسل المألوفة ، فإذا
بفخامة العميد يقدم هو نفسه !
أرقط : بعثنى الزعيم « بزعبول » لآتى له بنبإٍ يقين .
خلوب : وهل هو فى ريب من شىء ؟
أرقط : كلا . . . ولكنه . . . ولكنه يرغب فى أن أجلو له

حقيقة الأمر بعد عيان منى .

زفّاف : أؤكد لفخامتك ، أن الأمور تجرى وفق ما رسمه زعيمنا العظيم . وكلنا فى خدمته فانون .

أرقط : سأتحقق ذلك بنفسى ، سأخبُر مدى إخلاصكم فى إنفاذ أمره . . . انصرف يا « زفاف » فطف بالبحيرة طوفة ، وتفقد أبراج الحراسة ، وعد لتنهى إلىّ ما ترى .

زفاف : الطاعة لصاحب الفخامة .

ينصرف « زفاف »

خلوب : أثمة ما يثير ارتيابك بشىء يا سيدى المستشار ؟

أرقط : لا . . . لا . . . إن هى إلا شائعات . . .

خلوب : أية شائعات هى ؟

أرقط : يقال إن إنسيًّا يلمّ بهذه البقعة .

خلوب : أيجرؤ امرؤ على أن يقترب من المنطقة ؟ لقد أيقن بنو « آدم » أن هذه البقعة تكفُلها الزوابع العاتية ، وأن الإلمام بها غير مستطاع لأحد .

أرقط : سينجلى الأمر بعد حين . . . أين تقريرك يا « خلوب »

« خلوب » تخرج من صدرها قرطاساً تقدمه إليه

خلوب : هاكه يا سيدى المستشار .

يتناول منها التقرير ، ويلقى عليه نظرة خاطفة ، ثم يدسه فى صدره

أرقط : ما أشبه التقارير بعضها ببعض !

خلوب : إنها تصور الواقع أدق تصوير .

أرقط : (يمس لحيته ذات الشعب الخمس) : علمتنى هذه اللحى الخمس التى أنبتها تجارب المئين من السنين ألا أسارع إلى تصديق ما تحويه أمثال هذه التقارير . . . هذه التقارير ! إنها تقليد آدمىّ ممقوت ، تسربت عدواه إلينا من البشر .

خلوب : سيدى العميد !

أرقط : اسمعى يا «خلوب» : نحن الآن مختليان ، وكلانا لصاحبه صديق قديم ، ومن حق الصداقة التى بيننا أن نكون صريحين . . . هذه التجربة التى يزاولها زعيمنا العظيم تجربة جدّ خطيرة ، وأنت تعلمين أنى كنت إزاءها من المعارضين . . . ولكنى الآن أود أن أعرف على الوجه الصحيح ماذا بلغت هذه المحاولة من مراحل التوفيق . أما التقارير فإنى أراها تتغالى فى وصف «أزاهير» — « فُضلى العذارى » — تتغالى فى الإشادة بهدوئها ، وصفاء روحها ، ونقاء طويتها !

خلوب : (متحمسة) : هذا هو الواقع يا سيدى العميد ، قسماً بلِحيَتى فخامتك الخمس : إنه لا مبالغة فى الوصف ولا غلو .

أرقط : دعينا من فخامتى ، ومن لحى فخامتى الخمس ، واصدُقينى القول ، وليكن قسمك بما بيننا من ود وثيق .

خلوب : (فى توكيد) : ثق يا سيدى العميد أن كل شىء يجرى وفق الخطة المرسومة . إن « أزاهير » ، منذ هبطت قصرها البلورى وهى طفلة ترضع ، حتى يومها الحاضر وهى فتيّة فى زهرة الصبا ، لم تقع عينها على رجل . إنها لم تعرف غير المرأة من صاحب وعشير . وإنها تحيا فى قصرها معنا نحن حواضنها ومربياتها ناجية كل النجاة من عوامل الشر وبواعث الألم . لقد أحطناها بجو من الطهر والصفاء ، وغرسنا فى قلبها حب الفضيلة والخير . حتى أصبحت أعجوبة الأعاجيب . إنها — حقًّا — ملك طهور .

أرقط : « أزاهير » ملك طهور ! . . . أيكون « بزعبول » زعيم الأبالسة ، قد استطاع حقًّا أن يجعل من نسل « آدم » — رمز الشر كله — ملكاً طهوراً ؟!

خلوب : هذا هو الواقع يا سيدى العميد .

أرقط : أريد أن أجتلى الأمر بنفسى ... أين المرآة السحرية ؟

« خلوب » ترفع الستارة عن مرآة عظيمة فى
ركن القاعة

خلوب : ها كها .
أرقط : دعينى أنظر « أزاهير » بنفسى فى قصرها العتيد .

الظلام يتغشى المكان ، المرآة تسطع ، تبدو
« أزاهير » فى البستان على متكإ وثير ، مصغية إلى
موسيقى هامسة وقد تراءت عليها وضاءة ونقاوة ، ومن
حولها الوصائف .
الموسيقى تتزايل ، والظلام يتكاثف ، والستارة
تنسدل على المرآة رويداً .
الإضاءة تعود إلى سابق عهدها .

خلوب : ما قول عميد المستشارين فيما رأت عيناه ؟
أرقط : (يخلل بأصابعه لحاه الخمس فى تفكير) : أمر عجيب !
خلوب : لقد نجحت التجربة .
أرقط : هذا ما كنت أخشى . . .
خلوب : مم خشيتك يا سيدى العميد ؟
أرقط : أنت لى صديق يا « خلوب » ، وما كتمتك أمراً منذ
تعارفنا على عهد الصبا . . . فما أنا كاتمك الآن خبيئة
نفسى . إنى لأخشى إن نجحت هذه التجربة أن يكون

فى ذلك قضاء مبرم على كل ما لنا من سمعة وكرامة . .

خلوب : سمعة وكرامة ؟ !

أرقط : أجل سمعتنا وكرامتنا التى طبقت الخافقين ، السمعة والكرامة التى يعرفها المشرق والمغرب لمملكة الجن وشعب الأبالسة . أليس كياننا يقوم على الشر والإفساد ؟ أوليس الشر صنواً لإبليس ؟ أوليس الإفساد معنى الشيطان ؟ فإذا نزعنا من كياننا هذا الجوهر الغالى فماذا أبقينا لأنفسنا من سمعة وكرامة ؟

خلوب : (مفكرة) : هذا حق . . . ولكن ما رأيك فى أن نعلن على الملإ : أننا أصبحنا أهل استقامة وصلاح ، فنستبدل بالشر جوهر الخير ؟

أرقط : الخير . . . الخير . . . الناس أجمعون يزعمون أنهم يعملون الخير ، وأن البشر على الخير مفطور . . .

خلوب : حقاً إنهم يزعمون هذا ويغالون فيه ، ولكن أحداً منهم لم يستطع أن يعمل الخير المحض ، ولم يستطع أن يدل على أنه جدير بعمل الخير دون مغنم . فإذا جئناهم نحن بالخير المحض ، وأقمنا البرهان على أننا أهل لعمل هذا الخير بلا رغب ولا رهب ، كسبنا المعركة من بنى « آدم » ، وطارت لنا شهرة جديدة ، يتغير بها وجـــه

الناموس الكونىّ العام .

أرقط : تعنين أن يصبحوا هم الشياطين ، ونصبح نحن الأطهار؟
هم دعاة الفساد ونحن دعاة الخير ؟ !

خلوب : أليست هذه هى الحقيقة أيها السيد « أرقط » ؟ إن ما
يفعله « بزعبول » لا يعدو أن يكون وضعاً للأمر فى
نصابه ، وعوداً بالحق إلى أربابه . وإذن تتجلى حقيقة
طالما أخفاها بنو « آدم » ، إذ نسبوا إلينا الشر وهم
الأشرار ، وجردونا من الخير ونحن الأخيار .

أرقط : هذه هى الحقيقة الكبرى . ولكن ما نفع الجهر بالحقائق
الكبرى ؟ التمويه سائد منذ الأزل ، فلندعه على حاله .
ما جدوى إرجاع الأمور إلى أصولها الصحيحة ، إذا
كان الأمر الواقع هو المعوّل عليه فى التقدير والتدبير ؟
إن العالم العظيم الذى يضم الخلائق كلها من إنس وجن
قائم كله على قلب الحقائق ، على الكذب ، على النفاق ،
على الخداع . تلك هى العمُد الراسخة التى يقوم عليها
مجتمعنا كله . فإذا حاولنا تغيير هذه الأوضاع ، انهار
المجتمع ، وخرّ من قواعده . إن بنى « آدم » يشيعون
أن يوم القيامة سيحل عندما يتفاقم الشر ويستفحل
الفساد ، ولكننى أنا ، أنا « أرقط » عميد مستشارى

« مملكة الجن الأحمر » أقرر : أن يوم القيامة هذا لا يحل بنا إلا يوم تتوضح الحقائق ، وتنمحى آية التمويه والخداع !

خلوب : (مرتجفة) : إن ما تقوله يبعث فى نفسى الخوف .

أرقط : هى الحقيقة يا « خلوب » ... ولما كان قيام الساعة هو أذان بانقضاء دولتنا المكينة ، فعلينا إذن أن نسعى جاهدين لطمس الحقائق ، ونشر الأكاذيب . . . لا تنسى أننا شياطين ، شياطين . . . وسنظل أبداً شياطين ! . .

تنبت له أجنحة يعلو بها وهو يصيح مردداً كلمة « شياطين » حتى يتزايل شبحه من المكان .

خلوب : (مرددة فى اهتياج) : شياطين . . . شياطين !

يقدم « زفاف » فى عجلة واهتياج

زفاف : أين عميد المستشارين ؟

خلوب : (تحدق إليه حيرى ذاهلة) : إنى فى خوف . .

زفاف : أتراك علمت الخبر !

خلوب : أهناك خبر أروع مما أدلى به إلىّ العميد ؟ !

زفاف : ماذا قال لك العميد ؟

خلوب : حدثنى بيوم القيامة ، وأنه أذان بانقضاء دولتنا المكينة ...

زفاف : يا سيدتى « خلوب » أفيقى . . . أين نحن من يوم

القيامة ؟ إن يوم القيامة الذى تتحدثين عنه بعيد جدّ بعيد ، ولكن ثمة يوم قيامة آخر أشد هولا ، وإنه لَوَشيك .

خلوب : ماذا تعنى ؟ . . .

زفاف : أين عميد المستشارين ؟

خلوب : مضى عائداً إلى موطن الجن . . .

زفاف : أحمد لك يا إله النار الأعظم !

خلوب : ماذا وراءك ؟

زفاف : (يتكلم مبهور الأنفاس) : قرر أحراس البحيرة : أنهم لمحوا شبح إنسان جميل ، يرتاد البقعة ، متفحصاً متقصياً . . .

خلوب : إنسان جميل ؟ . . . وفيم ارتياده البقعة ؟

زفاف : ما أحسب أن له بنا حاجة . . . إن هى إلا شهوة التعرف ونزعة الاستطلاع ، تلك الخلة الذميمة التى لم يبرأ منها « ابن آدم » منذ الأزل .

خلوب : لزام أن نأخذ بتلابيبه على الفور . .

زفاف : ولكن علينا أن نكتم الخبر ، فلا يذيعه منا أحد .

يقدم « سرعرع » مهتاجاً

« زفاف » يقول له :

ما وراءك من الأخبار يا « سرعرع » ؟

سرعرع : وهل عندى خبر إلا خبر هذا الآدمىّ العجيب الذى لحوه يرتاد المنطقة ؟

زفاف : ذلك نعلمه . . . أثمة من جديد ؟

سرعرع : لقد لمحت شبحه بعينى رأسى . بعينى رأسى أنا !

زفاف : ألم تأخذ به ؟

سرعرع : ما كدت أعجَل إلى ناحيته ، حتى تزايل عنى ، فلم أجد له من أثر . . . لكأنه قد تطاير بخاراً فى الهواء !

خلوب : أكاد أوقن أنك واهم . . . ليس فى هذه البقعة من آدمىّ ، ولا ظل لآدمىّ ، كيف يستطيع أن يتزايل وكأنه يتطاير فى الهواء بخاراً ؟ أظننت أن له مقدرتنا على التزايل والتطاير ؟ أذهب عنك أنه آدمىّ من ماء وطين؟ مهما يكن من أمر فعلينا أن نضاعف اليقظة ، وأن نشتد فى الحراسة . إنى راجعة إلى القصر البلورىّ ، لأتفقد ربيبتى « أزاهير » .

تنصرف من الثغرة طائرة .
« سرعرع » ، و « زفاف » ، يزفران ، ويمسح كل وجهه فى جهد

سرعرع : يا لهذا اليوم النكد !

زفاف : متاعب وهموم يأخذ بعضها برقاب بعض . لقد جف

حلقى وتشقق . علىّ بقليل من ماء الحميم . . .

« سرعرع » يأتى له بابريق .
« زفاف » يجرع منه بعض جرعات ، ثم
لا يلبث أن يمجها .

سرعرع : لماذا تمج الماء من فيك ؟ لقد تخيرته لك من ذوب النار المصفى .

زفاف : (حانقاً) : لا أجد مَساغه طيباً . . .

سرعرع : هذا ما أستطيع أن أقدمه لك أيها السيد « زفاف » . ليس عندى سواه .

زفاف : وهل رغبت إليك فى أن تقدم لى شيئاً غيره ؟

يغدو ويروح فى ضيق .
« سرعرع » يتناول جرعة من الإبريق ،
ولا يلبث أن يمجها فى تأفف .

ماذا بك يا سيدى ؟

سرعرع : لا أجد مَساغ الماء يطيب لى . . . لماذا حرمت الخمر فى مملكة الشياطين ؟

زفاف : لأنها أس المنكرات .

سرعرع : وحق رءوس الأبالسة إنها لأطيب ما يروى من ظمإ . . .

زفاف : (صائحاً) : بل هى أم المساوئ جميعاً .

سرعرع : إن فيها لأمثالى سلوة وغناء . إذا أجهد المرء منا نفسه ، ثم تناول منها جرعة، راجعه نشاطه . . . ثم لا تسل عن تلك البهجة التى تشيع فى أوصاله حين يدبّ فيها دبيب السكر .

زفاف : (صائحاً) : أمرى إليك أن تكف عن ذكر أم الخبائث ، لقد ثبت ضررها ، وأقر المجلس الأعلى تحريمها علينا.. إياك أن تلفظ اسمها مرة أخرى .

تسمع جلبة فى الخارج

اخرج ، وانظر ما شأن هذه الجلبة ؟

« سرعرع » ينصرف . « زفاف » يذرع المكان مهتاجاً ، يجوز بإبريق الماء . يرميه بنظرة حانقة . ثم لا يلبث أن يدفعه بقدمه .
« سرعرع » يقدم عجلا .

ماذا ؟ !

سرعرع : عفريت من الجن ، قُبض عليه متلبساً بجريمة .

زفاف : أية جريمة ؟

سرعرع : إنها جريمة . . . جريمة وكفى .

زفاف : (صائحاً) : قل . . . أية جريمة ؟

رئيس أحراس البرج يقدم ، ومعه ثلة من الأعوان يمسكون بجنى يترنح من السكر .

رئيس الأحراس: (مشيراً إلى الجنى السكران) : لقد ألفيناه ثملا يعربد .
الجنى الثمل: (متمايلا) : أنا ثمل أعربد ؟ . . أتجرؤ يا حضرة الضابط أن تتهمنى بأنى سكران ؟

يلتفت إلى « زفاف » مشيراً إلى قرنيه

وحق هذين القرنين العاليين إنى لم أذق فى حياتى هذا الماء المسمى خمراً !

يكاد يسقط من شدة السكر .
يتدانى منه « زفاف » متفحصاً إياه

زفاف : ما اسمك ؟!
الجنى الثمل : خادمك « طغيان » .
زفاف : من أى عشيرة أنت ؟
طغيان : من عشيرة الفتاكين البواسل .

يكاد يتهاوى

زفاف : استقم فى وقفتك . . .

يحاول « طغيان » أن يتمالك

من أين لك بهذه الخمر التى شربتها ؟
طغيان : أية خمر يا مولاى ؟ . . أجازت عليك فرْية هذا السيد المأفون ؟

يشير إلى رئيس أحراس البرج ، فيرفع رئيس الأحراس قبضته فى وجه « طغيان » مهدداً

زفاف : وحقِ الجحيم لأنزلن بك عقوبتى . إن جرمك هذا يستوجب أن تُزَج ألف ألف سنة فى قمقم صغير .

طغيان : (صائحاً ، متضرعاً) : قمقم ؟ . . . أى قمقم ؟ . . . الرحمة ! . . . الرحمة !

رئيس الأحراس : أيريد مولاى أن ينزل به القصاص من فوره ؟

« زفاف » يفكر فى جيئة وذهوب

زفاف : (لرئيس الأحراس) : انصرف أنت ومن معك الآن . واترك هذا الجانى معى... سأقتص منه بنفسى . منحتك الوشاح الأكبر من « وسام اليقظة » . أما أعوانك فقد منحتهم « أنواط النشاط » . أهنئكم . شددوا الحراسة ، وكونوا عند حسن ظنى بكم .

رئيس الأحراس وأعوانه ينحنون شاكرين وينصرفون

زفاف : (« لسرعرع ») : ألق على هذا الثمل قليلا من « حامض الكبريت الأزرق » ليعود إليه وعيه .

«سرعرع » ينفذ ما أمر به « زفاف »

زفاف : («لطغيان»): أما زلت ثملا ؟

طغيان : (وقد زال عنه سكره) : مغفرة يا مولاى . . .

سرعوع : (هامساً فى أذن «طغيان») : إذا أخبرتنى من أين أتيت بالخمر ، تشفعت لك عند السيد العظيم ليخفف عنك العقوبة .

طغيان : إذن لا مناص من الاعتراف !

سرعوع : تكلم واعجل . . .

طغيان : أعترف بأنى قد شربت الخمر .

سرعوع : هذا أمر لم أسألك فيه . . . أريد أن أعلم من أين أتيت بالخمر ؟

طغيان : هى بضع زجاجات سرقتها من حانة آدمية . . .

سرعوع : وهل شربت كل ما سرقته؟... ألم تبق لديك بقية ؟ !

طغيان : (ملتفتاً إلى «زفاف») : الرحمة . . . الأمان . سأعترف بكل شىء إذا وعدتنى بالأمان .

زفاف : أعدك به . . .

طغيان : لم يبق عندى سوى هذه ...

يخرج من عباءته زجاجة ، فيندفع «سرعوع» إليه ، ويجذبها منه . يتقدم «زفاف» فيتناول الزجاجة من يد «سرعوع» ، متظاهراً بالرزانة ، وينعم فيها النظر لحظة .

زفاف : (« لطغيان ») : لقد وعدتك بالأمان ، وسأفى بوعدى .

« لسرعرع » :

ناولنى هذا الكوب لأرى أى نوع من أنواع الخمر هذا الشراب ؟ لا بد من فحص وتحليل . . . :

إظلام لحظات . . . الضوء ينطلق .
يشاهد « طغيان » قادماً ، وخلفه تابعه الخاص « زعرور » .
« زعرور » يحمل قنانى مترعة بالخمر ، يرصها على الأرض .
« طغيان » يعد القنانى ، ويتشمم ما تحويه .

طغيان : حسناً . . . حسناً ... يا « زعرور» . . . إنها من الخمر التى لا يدانيها فى حدّتها شراب !

زُعرور : (وهو يمسح جبهته) : أنسيت يا سيدى الأمير تلك المادة السحرية التى جعلناها مزاجاً لهذه الخمر ؟ . . إن سيدى الأمير بلا شك . . .

طغيان : صه . ولا تلقبنى هنا بالأمير . هذه المادة العجيبة أكسبت الخمر نكهة طيبة منقطعة النظير . . .

زعرور : وإنها لتذهب بوعى شاربها على الفور ، فإذا هو فى سبات عميق . كن على طمأنينة يا سيدى الأمير .

طغيان : نهيتك يا « زعرور » ، أن تجرى على لسانك لفظ

الأمير . . . أنا هنا « طغيان » ، أنتمى إلى عشيرة « الفتاكين البواسل » .

زُعرور : من « الجن الأحمر » . . . هذا مفهوم . وأنا « زعرور » تابعك ، من عشيرة « الجن الأزرق » .

طغيان : ونحن نعمل فى خدمة الزعيم « زفاف » .

زعرور : وهو راض عنا كل الرضا . ما أعجب حالنا : أناس من البشر ، يستخفون فى زى الشياطين !

يحدق إلى الأمير

يالله ! كيف تنكرت سماتك الجميلة فى هذا المظهر البشع ؟ معذرة يا سيدى عما أقول . لقد اتخذتَ لك سحنة من أبشع السحنات . وهذه اللحية . . . اللحية ذات الشعب العشر . . .

يتضاحك مهتزاً ممسكاً بجوانبه

طغيان : أما أنت يا « زعرور » ، فالحمد لله على أننا لم نلق جهداً ولا عنتاً فى سبيل تغيير سحنتك . . . لقد كانت لك بين البشر سيماء العفاريت !

زعرور : ليس فى ذلك ما يضيرنى ، فإنى إذن مستطيع أن أجد لى عملا كريماً فى هذه المملكة العتيدة يلائم مقامى !

طغيان : لا ثرثرة ولا هذيان . . . لم نأت لنضيع الوقت فى

لغو الحديث . . . أول ما يجب علينا أن نذكره هنا أننا من زمرة الشياطين .

زعرور : شياطين أولاد شياطين. اطمئن ، سأذكر ذلك لا أنساه. وهل أنا من البلاهة بحيث أكشف عن سرك وسرى فى هذه البقاع السحرية التى يسيطر عليها الجان ؟ . . . حقًّا لو كشفوا أننا من بنى « آدم » ! . .

طغيان : لا تذكر كلمة بنى « آدم » هنا ، وإلا كان نصيبك . . .

زعرور : أن يشوى لحمى على السفّود . . . أعلم ذلك . . . ولكن ائذن لى أن أقول لك شيئاً : كنت أحسب ، فى سالف أمرى ، قبل أن أعيش مع الشياطين ، أن هذه المخلوقات ماكرة خبيثة ، فإذا بى يتبين لى أنهم لا يَعْدون أن يكونوا مخلوقات ضعافاً لا حول لها ولا قوة .

طغيان : أتقول إن الشيطان لا حول له ولا قوة ؟ !

زعرور : ألم تستطع أنت يا سيدى ، بحيلتك ومهارتك ، أن تضحك منه ، وتستهزئ به ، فتستر عنه شخصيتك الآدمية ، شخصية الأمير « زبرجد » العظيم ، وتتخذ لك اسم « طغيان » ، وتبدو فى هيئة شيطان ؟

طغيان : لم أبلغ هذا المبلغ ، إلا بإتقانى الأساليب الشيطانية فى السحر ، وتخرجى فى كنف عميدة السواحر « نكباء »

زعرور : ما أعظمك وما أروعك يا سيدى الأمير « زبرجد »

مستدركا فى عجلة :

بل يا سيدى « طغيان » . . . ولكن . . . ولكن فيم كل هذا ؟ . . . فيم تعرض نفسك لهذا الخطر الجسيم ؟!

طغيان : حقًّا لا أدرى !

زعرور : أليس من دافع يحدوك على هذا العمل ؟ أليس من غاية تريد أن تبلغها ؟

طغيان : أتحسب يا « زعرور » أن لكل إنسان غاية ينشدها فيما يقبل عليه من مخاطر ، وما يتجشمه من صعاب ؟

زعرور : أوضح يا سيدى ، فإنى لا أفهم ما تعنى . . .

طغيان : ربما ألقى المرء نفسه فى أعظم مخاطرة ، لا لشىء إلا لنزوة طارئة . . . إنه ليجد نفسه مسوقاً فى طريقه ، لا إرادة له فى ذلك ولا خيرة ، يدفع خطاه باعث خفىّ مجهول . . . حقًّا إن نفس الآدمىّ لهى لغز الألغاز !

يصمت هنيهة ، ثم يستأنف قوله :

ولكن . . . هذا هو الإنسان ، وتلك ميزته التى تفرق بينه وبين خلق الله أجمعين . . .

فترة صمت ، ثم يعاود الكلام مناجياً نفسه :

لماذا أتيت هنا ؟ . . . لماذا أنا مقبل على هذه المخاطرة الطائشة ، لا أبالى العواقب ، ولا أخشى التبعات ؟

زعرور : أجل ، لماذا . . . لماذا ؟ !

طغيان : أتيت هنا مع الصيادين مرات ، فأحسست أن المكان يسوده جوّ من الأسرار ، وتشيع فيه ألوان من الغرائب .

يشير إلى الثغرة وخلفهما تتراءى السحب :

إنها سحب أكاد أحسبها جامدة !

زعرور : الحق أنها تمرّ يا سيدى . . .

طغيان : نعم تمر فى تباطؤ . . . هذا صحيح ، ولكنها لا تنقشع أبداً . . . إن المنطقة وسط البحيرة ، وهى دائماً مغشّاة بالسحب . . . ليت شعرى ماذا تخفى هذه السحب المتلاحمة ؟ !

يسمع صوت أشبه بمروق شىء فى الهواء

صه . . . فإننا على وَشْك استقبال . . .

يقدم « زفاف » ، ومعه « سرعرع » هابطين من الثغرة

زفاف : أنت هنا يا « طغيان » ؟

طغيان : قدمت وفق موعدنا المضروب أيها الزعيم .

« زفاف » يخلع عباءته وخفه ، ويسلمهما إلى « طغيان » . « سرعرع » يخلع عباءته وخفه ، ويسلمهما إلى « زعرور » . « طغيان » ، و « زعرور » يضعان الملابس فى كن حريز

زفاف : إنى أجدك — يا « طغيان » — شيطاناً نشيطاً ، تنهض بعملك خير نهوض .

طغيان : حسبى من الزعيم هذا الرضا ، وإنى به لفخور . . .

سرعرع : (« لزعرور ») : وأنا معجب بك أنت أيضاً أيها « الزعرور » وإنى أمنحك رضاى ، بالرغم من غباوتك !

يقول ذلك فى إمرة وتنفخ

زُعرور : رضا مولاى « سرعرع » هو كل ما أبغيه فى الحياة .

يبدى أمام « سرعرع » ألواناً من التلوى والانحناء ، مجتهداً فى إظهار الخضوع والتجلة ، حتى ليكاد ينقلب على ظهره .

سرعرع : حسبك . . . حسبك . . . أعرف إخلاصك وتمجيدك لمقامنا الكبير !

« زفاف » يعتلى أريكة فخمة عالية ، يتمدد عليها ، يخاطب « طغيان » الماثل أمامه فى احتشام وتوقير :

زفاف : إيه يا « طغيان » . . . والمهمة التى من أجلها بعثت بك

إلى الأرض ، أأصبت فيها توفيقاً ؟

طغيان : (وقد تدانى من « زفاف » هامساً) : كل التوفيق ، أيها الزعيم . . . لقد أحضرت القوارير معى ، واجتهدت فى إخفائها عن الأنظار ، فلم يدرك أحد الحراس من أمرها شيئاً .

زفاف : (متضاحكاً) : يا لك من ماكر جسور ، وحق إله النار لأمنحنك « وسام الثعابين المرقش » ! . . .

طغيان : زدت يا مولاى من عظمة ومجد .

زفاف : والآن جئنا بشىء مما أتيت به ، لنخبر ذوقك فى الاختيار . . .

يهرع « طغيان » إلى إحدى الزوايا ، فيرجع بقارورة ملئت بالخمر ، وما هى إلا أن يقدمها إلى « زفاف » فيكرع منها ، على حين يتحدث إلى « طغيان » حديث ملاطفة وإيناس فى صوت مخفوض .

« سرعرع » فى أثناء ذلك يتمدد هو الآخر على حشية بسطها له « زعرور » ثم يتبادلان حديثاً خاطفاً ، فنرى « زعرورا » قد أحضر قارورة أخرى من الخمر ، وجعل يسقى « سرعرعاً »

سرعرع : حقًّا . . . إنك لمن أمهر السقاة . ولكن هذا لا ينفى أنك نادرة الأغبياء . . . اعترف بذلك يا « زعزوع » !

زعرور : من يكون « هذا الزعزوع » أيها الزعيم ؟

سرعرع : أليس هو اسمك ؟ !

زعرور : اسمى « زعرور » أيها الزعيم .

سرعرع : (وقد جرع من الخمر جرعة وافية) : زعزوع . زعرور . بعرور . فليكن اسمك ما يكون !

زعرور : حقًّا فليكن ما يكون .

يتضاحكان

طغيان : (« لزفاف ») : عجيب ماأخبرتنى به أيها الزعيم : القصر البلورى . . . فُضْلى العذارى « أزاهير » . . . تجربة الخير والفضيلة . . . يا لإله النار من عظمة « بزعبول » !

زفاف : (وقد تثاقل لسانه) : ذلك سر لا يعرفه إلا زعماء الأباليس . . . وقد أفضيت به إليك ، لثقتى بك . . . حذار أن تبوح به لأحد !

رأس « زفاف» يسقط على الوسادة بلا حراك .
« طغيان » ينظر إليه ملياً ، فيجده قد غشيه سبات . يهزه فى لطف فلا يتحرك . يهزه بشدة فلا يستجيب .
« سرعرع » تملكه غيبوبة ، كغيبوبة « زفاف »
« زعرور » يهز « سرعرعاً » فلا يتحرك .
يمسك بذيله ويعضه فلا يستجيب .

طغيان : لقد غرقا فى سبات عميق لن يُفيقا منه إلا بعد ساعات
طوال . . . هيّا « زعرور » .

زعرور : ماذا أيها الأمير ؟

طغيان : هيّا ، ولنطر .

يتجه إلى الركن اللى وضع فيه ملابس « زفاف »
و « سرعرع » فيخرجها . يرتدى عباءة « زفاف »
وخفه ، ويرمى إلى « زعرور » بعباءة « سرعرع »
وخفه .

اعجل ، والبس كما لبست . ستكون لك خفة الطير ،
لا تهاب الرياح .

زعرور : (يلبس على كره) : إلى أين تريدنى أن أطير ؟

طغيان : إلى القصر البلورى . . . إلى فُضلى العذارى :
« أزاهير » !

« زعرور» يطيع ، مشدوها .
« طغيان » ومن ورائه « زعرور » ينفذان من
الثغرة طائرين .

الفصل الثالث

مخدع « أزاهير » .

نور ينبعث من قنديل يتدلى بجوار رأس الأميرة النائمة ، وقد ترسلت عليها شعاعة وادعة من ضوء القمر .

وجهها عاجى ، تظهر عليه ابتسامة ثابتة ، كأنها مصنوعة .

باب كبير إلى اليمين ، يسلم إلى مستشرف فسيح . يلوح « طغيان » — وهو الأمير « زبرجد » — فى عباءة « زفاف » ، وخفه . يتقدم فى حذر ، وهو يتلفت متفحصاً ما حوله .

« زعرور » يدلف خلف « طغيان » وهو فى ملابس « سرعرع » ، مبعثراً نظراته فى ترقب وخشية .

طغيان : (ناظراً إلى « أزاهير » من بعيد . يهمس « لزعرور ») : إنها فى سبات عميق .

زعرور : أما أطلقنا البخور السحرى فى القصر كله ، فنام جميع من فيه بلا إبطاء ؟

طغيان : أعطنى مسحوق الانعاش .

« زعرور » يخرج المسحوق من صدره ، ويناوله « طغيان »

اخرج أنت الآن يا « زعرور » وانتظرنى فى أقصى المستشرف . ولتكن يقظاً تترقب .

زُعرور : أنتظرك وحدى ؟ !

طغيان : أطع أمرى .

زعرور : (منحنياً) : السمع والطاعة ، ولكنى أرجوك ألا تطيل المكث . . . لا تقس علىّ !

« طغيان » يشير إليه إشارة الآمر .
« زعرور » ينصرف مستسلماً .
« طغيان » يمثل وسط الحجرة ، ثم يستدير دفعة واحدة ، فإذا به قد انقلب فى لحظة فتى وسيم الطلعة ، عليه شارة الإمارة ، فاخر الثياب ، يتدانى من « أزاهير » وئيد الخطا . يقف فى منتصف الطريق . يتلفت حوله .

زبرجد : سبحانك اللهم جلت قدرتك . . . تبارك الله أحسن الخالقين . . . أيكون هذا الحسن العبقرىّ إنسيًّا ؟

يخطو قليلا نحو « أزاهير » ثم يقف محدقاً إليها ، يتلفت حائراً متردداً :

لا أدرى . . . فيم قدومى هنا ؟ وماذا أعمل ؟

ينظر إليها :

يا للفتنة الباهرة !

يزداد من المخدع دنواً ، وينثر حوله مسحوق
الإنعاش . يعاوده التردد والحيرة.

لا . . . لا .

يتقهقر خطوات . . .
« أزاهير » ترفع جفنيها ، وتتنفس

لا . . . لا .

يزداد تقهقره ، فيعثر فى وسادة ، يضطرب فى
وقفته . فيستند إلى خوان بجواره .
تحدث من كل ذلك حركة ، وينبعث صوت ،
فتنتبه « أزاهير » وتكتمل فيها اليقظة .

أزاهير : (تتكلم بهدوء ، متخذة فى خطابها صيغة التأنيث) : هل
أرسلتك « خلوب » بشىء لى ؟

يلبث « زبرجد » محدقاً إليها وهو صامت
مأخوذ . تتابع قولها ، وهى على حالها فى سكون :

لماذا أيقظتنى ؟

زبرجد : (ينحنى أمامها) : السلام على الأميرة « أزاهير » .

تعلو « أزاهير » برأسها ، فترنو إليه
متطلعة ، ثم لا تلبث أن تطلق ضحكة رفيقة

أزاهير : (وهى رانية إليه ساكنة): إن صوتك غريب ، وأغرب
منه هذه الثياب التى ترتدينها . لم أرسلتك « خلوب »

توقظيننى ؟ !

زبرجد : (مقبلا عليها ، كأنه ينجذب نحوها مسحوراً) : لم ترسلنى «خلوب» . . .

أزاهير : لم أرك هنا من قبل .

زبرجد : لست من سكان القصر .

أزاهير : (فى سكينة) : من أنت إذن ؟ !

«زبرجد» يصمت لحظات وهو إليها محدق ، ثم يجد نفسه قد تراجع راغباً فى الفرار . على حين نرى «أزاهير» تغادر المخدع ، وتسير فى خطوات هادئة صوبه . . .
يقف «زبرجد» وقد ملكته الدهشة والحيرة .
تقترب منه «أزاهير» وكأنها تمثال يتحرك .
تنظر إليه متفحصة ثم تطلق ضحكة . تلمس ثيابه

أزاهير : ثياب عجيبة ، ولكنها جميلة ، ستحضر لى «خلوب» ثياباً مثلها بلا ريب !

تخطو إلى المستشرف

لم تخبرينى من أنت ؟

زبرجد : أحتم أن تعلمى من أكون ؟

أزاهير : كلا . ولكن إذا رغبت فى التحدث إلىّ فى شأنك فسأصغى إليك .

زبرجد : (مندفعاً) : إنى لست من أهل هذه البقعة . . .
أزاهر : أأنت إذن من العالم البعيد ؟
زبرجد : (متهللا) : أتعرفين شيئاً عن هذا العالم البعيد ؟
أزاهير : إنه عالم الصخب والشرور .
زبرجد : (مستزيداً) : ثم ماذا ؟
أزاهير : (فى رزانة) : لا شىء .
زبرجد : كيف ؟ أهذا كل ما تعرفين عن العالم البعيد ؟
أزاهير : لماذا تريدين منى أن أعلم أكثر مما علمت ؟
زبرجد : لمجرد المعرفة .
أزاهير : إن المعرفة شاسعة ، والمجهول عظيم . وما ينبغى لنا أن نحاول الإلمام بكل شىء . . . إنه خارج عن نطاق المستطاع . . .
زبرجد : ولكن ثمة أسرار طريفة ينطوى عليها هذا المجهول العظيم ، وربما استطعنا أن نحيط بها .
أزاهير : مبلغ ما نصل إليه تافه ضئيل . وسيظل المجهول مجهولا إلى الأبد .
زبرجد : ما نصل إليه لا يخلو من نفع ، ولعله يسلمنا إلى غير التافه الضئيل .

«أزاهير» تطوف بالحجرة فى خطا متزنة ،
ومشية صلبة ، وتتابع حديثها فى لهجة شيخ وقور

أزاهير : وهْم ما تقول . . . الكشف عن هذا المجهول ربما يؤدى
بنا إلى ألوان من الشرور . . .

تنظر إلى قلنسوته . تشير إليها :

ما هذا ؟

زبرجد : قلنسوة .

أزاهير : ماذا ؟

زبرجد : لباس للرأس .

أزاهير : ولماذا تضعين على رأسك لباساً ؟

زبرجد : (مفكراً) : لماذا أضع على رأسى لباساً ؟ . . . لقد
نشأت أتخذ هذه القلنسوة على رأسى ، دون أن أسأل
ما نفعها ؟ ولا بد أنها لحماية الرأس .

أزاهير : أترينها ضرورية لتحمى رأسك الآن ؟

زبرجد : ليست ضرورية . . .

أزاهير : إذن ، لماذا تستعملينها ؟

زبرجد : أرجح أنى أستعملها للزينة .

أزاهير : ولماذا تتزينين ؟

زبرجد : لماذا أتزين؟! . . عجيب سؤالك ... !

أزاهير : أترينى قد ضايقتك ؟

زبرجد : كلا . ولكنك منذ حين كنت تتكلمن فى المعرفة وتقولين إنه لا خير فى الاستزادة منها ، وأنت الآن – لكى تزدادى معرفة – تسألينى وتمعنين فى السؤال .

أزاهير : يلوح لى أنى أخطأت .

زبرجد : لم تخطئى ، بل أصبت الإصابة كلها .

« أزاهير » تصمت هنيهة ، وهى تحدق إليه

أزاهير : ألا تخبرينى لماذا تتزينين ؟

زبرجد : لتغدو هيئتى رائقة .

أزاهير : تعنين أن هيئتك بلا زينة غير رائقة ؟

زبرجد : ربمـــا . . .

أزاهير : إذن هذه الزينة خداع وتغرير . . .

زبرجد : (مبتسما) : ربما كانت لوناً من الخداع والتغرير .

أزاهير : إن الخداع والتغرير شر جسيم .

زبرجد : (متوسما إياها، ملاطفاً يدها) : « أزاهير » !

أزاهير : ماذا ؟

زبرجد : أراك تتحدثين عن الشر ، فهل تعرفين ما الشر ؟

أزاهير : هو شىء ردىء كريه .

زبرجد : أأنت أتيت الشر لتفهمى كنهه ؟

أزاهير : لم آته قط .

زبرجد : إذن أنَّى لك أن تعرفيه ؟

أزاهير : إنى أعرف الخير ، والخير ضد الشر ، وحسبى بالخير معرفة . . .

زبرجد : وكيف عرفت الخير ؟ ومن أين لك العلم بأنه خير ؟

أزاهير : لقد علمتنى إياه « خلوب » ، وشرحته لى أيَّما شرح ، وفقهتنى فيه أيَّما تفقيه ، فأصبحت به خبيرة بصيرة . .

زبرجد : أمعرفتك بالخير الذى علمتك إياه « خلوب » ، مغنية لك فى فهم الشر ، والتمييز بينه وبين سواه ؟ !

أزاهير : وهل فى ذلك ريب ؟

يقترب منها ، ويدنى وجهه من وجهها ، ثم يقتبس قبلة من فمها

زبرجد : (رانياً إليها فى شغف) : أمن الخير هذا أم من الشر ؟

تلبث « أزاهير » صامتة .

« زبرجد » يقتطف من فمها قبلة أخرى

أجيبى : أمن الخير هذا ، أم من الشر ؟

وجه « أزاهير » يختلج

أزاهير : (متدانية منه) : ماذا بعثك على أن تفعلى ذلك ؟

زبرجد : إعجابى بك .

أزاهير : أنت معجبة بى ؟

زبرجد : لقد سحرتنى فتنتك يا « أزاهير » . . . أنت رائعة الجمال .

ابتسامة يسرى فيها شىء من الحرارة تغزو وجهها

أزاهير : أنا رائعة الجمال ؟

زبرجد : أما تعرفين أنك فاتنة جميلة ؟

أزاهير : وما الجمال ؟

زبرجد : الجمال ضد الدمامة .

أزاهير : وما الدمامة ؟

زبرجد : ضد الجمال !

أزاهير : أنت تعبثين بى ؟

زبرجد : ألم تقولى منذ هنيهة إن كل شىء يتميز بضده ؟

أزاهير : ألا يسعك أن تريني شيئاً دميماً ؟

زبرجد : (يتلفت حوله) : هنا كل شىء جميل . . . مع الأسف . . . !

يضرب رأسه بيده متذكراً أمراً :

انتظرى لحظة .

يخرج إلى المستشرف فيعود مصطحباً « زعروراً »

ما رأيك فى هذه السَّحنة ؟

أزاهير : (متأففة): لا تروقنى .

زبرجد : أجميلة هى ؟

أزاهير : لا .

زبرجد : إذن ماذا تكون ؟

أزاهير : غير جميلة .

زبرجد : («لزعرور») : عد حيث كنت ، وشكراً لك على ما أسديت إلينا من خدمة !

«زعرور» ينصرف صامتاً ، تملكه الحيرة والدهشة

أزاهير : ولكنك لم تخبرينى : ما الجمال ؟

زبرجد : أنت تشاهدينى أمامك الساعة ، وقد شاهدت منذ لحظة تابعى . فماذا أحسست نحوى؟ وماذا أحسست نحوه ؟

أزاهير : طاب لى منظرك ، وتقززت من منظر تابعك .

زبرجد : حسن . . . إذن فالجمال ما يبعث الرضا والارتياح ، فتهواه النفس .

أزاهير : إذن كل ما هو حولى تهواه نفسى ، فيبعث فيها الرضا والارتياح ؟!

زبرجد : أليس هذا ما تحسينه هنا ؟

أزاهير : ما أحسه . . . ما أحسه ؟ !

زبرجد : أجل . ألا تحسين الرضا والارتياح هنا ؟ . . إن حياتك كلها طمأنينة ورخاوة بال .

أزاهير : (بعد صمت حائر) : جمال . . . رضا . . . ارتياح . . حقًّا . . . حقًّا . . . ولكن . . .

زبرجد : ولكن ماذا ؟

أزاهير : (تائهة النظرات) : ولكنى لا أحس شيئاً مما تقولين ...

زبرجد : كيف لا تحسين الرضا والارتياح ؟

أزاهير : أكُل ما هنا يبعث حقًّا على ذلك الرضا والارتياح ؟

زبرجد : وهل فى ذلك جدال ؟

أزاهير : (فى استسلام) : إذن : أنا فى رضاً وارتياح .

تفكر لحظة

أصارحك القول ، إنى لا أحس هذا ولا أتبينه فى وضوح .

زبرجد : ذلك لأن الشيء لا يدرك إلا بضده !

أزاهير : لماذا لا يحضرون لى أشياء دميمة هنا ؟

زبرجد : يلوح لى أن الدمامة من خصائص الشر ...

أزاهير : إذن فالشر لازم لمعرفة الخير .

زبرجد : أحسب ذلك !

أزاهير : وهل الدمامة موفورة فى العالم البعيد ؟

زبرجد : العالم البعيد يحفل بشتى الألوان ، من جميل ودميم، ومن خير وشر .

أزاهير : (مضطربة الأنفاس شيئاً ، تحد بصرها فيه) : ألا تحدثينى حديث العالم البعيد ؟

زبرجد : وربما أريتك إياه يوماً . . . أما الآن . . .

يمسك بيدها ملاطفاً فى حنو :

الآن أزيد أن أحدثك عن نفسك .

يرنو إليها متوسماً فى شغف

أنت رائعة الجمال يا « أزاهير » . . . رائقة ، كأنفاس الصبح ... بهيجة ، كورد الربيع !

يصمت

أزاهير : ماذا ؟ . . تكلمى !

زبرجد : أراك حتى الآن تخاطبينى بصيغة التأنيث، كأنى مثلك!

أزاهير : ماذا تعنين ؟

يصمت « زبرجد » ، رانياً إليها ، فتواصل « أزاهير » الكلام :

قولى . . . تكلمى . . . ماذا تقصدين بأنى مثلك ؟

تمسك بيده ، وما أن يهم بالقول حتى يدخل
« زعرور » مهرولا مهتاجاً .

زعرور : سيدى . . . أسمع همساً وحفيف أجنحة خفافيش !
أزاهير : (مزورة عن « زعرور ») : لا أطيق رؤية هذا الدميم
زبرجد : (« لزعرور ») : ألا تسمع ؟ انصرف .

« زعرور » ينصرف ، وهو يتضرع إلى
« زبرجد » بأن يعجل إليه .
« زبرجد » يقول « لأزاهير » :

أرى أن زيارتى قد طالت . . . اغفرى لى أنى أغرت
على وقت نومك . . . إيذنى لى أن أنصرف . . .
أزاهير : ومتى تعودين ؟
زبرجد : أفى حاجة إلىّ أنت ؟
أزاهير : لأستزيد منك معرفة ، ولتحدثينى حديث العالم البعيد ،
هذا العالم المجهول ...
زبرجد : ربما عدت إليك ، وربما لا أعود . . .
أزاهير : كيف لا تعودين ؟
زبرجد : إذا استعصى علىّ الأمر ، فلا عود . . . وداعاً !

يتهيأ للانصراف

أزاهير : ابقْ . . . ابقْ .

زبرجد : لمـــاذا ؟

أزاهير : تعالى . . . اقتربى منى .

« زبرجد » يقترب منها .
« أزاهير » تدنى وجهها من وجهه . تقول فى
صراحة ساذجة :

افعلى ما فعلته منذ قليل . . .

زبرجد : مـــاذا ؟

« أزاهير » تشير إلى فمه وفمها . . . تتدانى منه
« زبرجد » يهبط على فمها مقبلا إياها قبلة عامرة

أزاهير : حدثينى عما فعلته . . . إنه شىء جميل !

زبرجد : قَبَّلْتُكِ قبلة .

أزاهير : وما القبلة ؟

زبرجد : القبلة وصلة بين روحين .

أزاهير : وكيف تصل القبلة بين الروح والروح ؟

زبرجد : الشفة قناة تعبرها الروح لتستقبل ما تألف من روح ،
فإذا تلاقت الشفاه تواصلت الأرواح !

أزاهير : زيدينى من هذه القبلة ، وصلى بين روحى وروحك .

يقبلها فى هيام .
يبدو « زعرور » قلقاً مضطرباً . يفاجأ بما يرى .
فيتقدم لينبه سيده .

الأمير مسترسل فى تقبيله .
« زعرور » يحاول إنباه سيده تارة بأن يسعل ،
وتارة بأن يخفق بقدمه ، ولا يملك أخيراً إلا أن يجذبه
من ثوبه ، ولكن سيده لا يلقى له بالا .
« زعرور » يجلس فى يأس واستسلام

زعرور : (ضارعاً إلى الله ، صائحاً) : رفقاً بحالنا يا رب . . .
بل رفقاً بحالى أنا وحدى . . . !

إظلام
إنارة بعد قليل .
« أزاهير » فى حجرة مخدعها تتهيأ للنوم . . .
« أزاهير » تتطلع إلى المستشرف ، حيث القمر
يغمر بضوئه الحجرة .
« خلوب » فى الركن الآخر من الحجرة تجلب
بعض الأغطية .

أزاهير : (مهمهمة تناجى نفسها) : يا له من حلم طريف . . .
أأحظى بقدوم الزائرة — الليلة — كما حظيت بزيارتها
ليلة أمس ؟

خلوب : (وقد ترامت إلى أذنها همهمة « أزاهير » دون وضوح) : ماذا
تقولين ؟

أزاهير : أتحدث إلى نفسى !

خلوب : (وقد عادت إليها بغطاء) : وماذا كنت تحدثين نفسك به ؟

أزاهير : (بعد فترة تردد) : إنها دعوات من تلك الدعوات التى لقنتنى إياها . . .

خلوب : حسناً . . . هذه دعوات مباركة ، وهى تزيد من صفاء نفسك . . . لا تملّى تردادها . . . إنك فى حاجة إليها الليلة . . . الليلة على وجه خاص !

أزاهير : ولماذا ؟

خلوب : لاحظت أن بعض القلق يساورك . . . إنك منذ الصباح تلجّين فى أسئلة على غير ما ألفت منك . . .

أزاهير : ولكنك لم تروى لى غلة . . . سألتك سؤالا لم تجيبينى عنه وأعدت السؤال مرات ، فلم أظفر منك بقول فصل .

خلوب : (كأنها تناجى نفسها) : سؤالك : كيف تستطيعين أن تميزى بين ضدين أنت تجهلين أحدهما ؟

أزاهير : أجل ، كيف أعرف الشر ، وأنا لا علم لى بالخير ؟

خلوب : ولكن هذا أمر فرغنا منه يا بنية ، ألم يقنعك قولى : بأنه عزيز علينا أن نجرب كل شىء حتى نصل إلى حقيقته؟ لا يفوتنك أن قيامنا بالتجربة ربما ورّطنا فى خطر جسيم .

أزاهير : ولكن . . . أليس فى التجربة فائدة ؟

خلوب : أية فائدة يا « أزاهير » ؟ لقد جرب الخلق قبلنا ما جربوا دهوراً متلاحقة ، حتى استنفدوا التجارب ، فلم يبق علينا نحن إلا أن نستمرئ عصارة ما جربوا ، دون أن نصلى نار التجريب من جديد .

أزاهير : . . . إن تجربة الشر تبعث فى النفس شيئاً من الاهتياج.

خلوب : الاهتياج ؟ ؟ من علمك هذا يا « أزاهير » ؟ !

أزاهير : نفسى علمتنى إياه !

خلوب : (مهتاجة) : أجربت الشر ؟

« أزاهير » تصمت

تكلمى . . . أجيبينى . . .

أزاهير : لقد كذبت ، والكذب شر .

خلوب : (شاهقة فى دهشة) : ولم فعلت هذا ؟ !

أزاهير : أحببت أن أجرب الشر بنفسى .

خلوب : (ضاربة بيدها على صدرها مولولة) : ويحك ! . . . إنها أول مرة فى عمرك النقى تقترفين فيها هذا المنكر !

أزاهير : أيبلغ من الإنكار هذه المنزلة ؟ حسبى أن جربت الشر مرة واحدة ، فذقت طعمه .

خلوب : وإنك لنادمة . . . أليس كذلك؟

أزاهير : الحق أنى لم أستشعر كبير ندم .

خاوب : ويلى مما أسمع ! كان لزاماً أن تشعرى بخطر الفعلة التى فعلتِها وأنت آثمة .

أزاهير : لم . . . ؟

خلوب : للضرر الذى ألحقتِه بنفسك .

أزاهير : ولكنى لم أحس من ضرر .

خلوب : بل لقد نالك الضرر لا محالة ... عليك الآن إصلاح الأمر .

أزاهير : لن أكذب مرة أخرى .

خلوب : هذا ما يجب أن تضعيه نصب عينيك . والآن اعترفى بالحقيقة كاملة ، إن الاعتراف يخفف من وطأة الذنب يا بنية . . . على من كذبت ؟

أزاهير : عليك أنت .

خلوب : أتكذبين علىّ أنا ؟! . . . أنا مربيتك التى أجهدت نفسى فى تعليمك وتهذيبك طوال هذه الأعوام ؟

أزاهير : إن هى إلا كذبة واحدة ، كذبة عابرة . . . من العجيب أنى لم أستطع لها دفعاً ، ولم أملك عنها مصرفاً !

تتعالى ضحكتها

خلوب : وإنك لتضحكين أيضاً ؟. . . كارثة لم تقع لى ببال ..

وأى شىء كذبت علىّ فيه ؟

أزاهير : لما سألتنى الساعة بماذا كنت أهمهم ، أجبتك بأنى كنت أردد دعوات ، مما لقنتنى إياه .

خلوب : والحقيقة؟ . . ما الحقيقة ؟ . . . أسرعى بالجواب . . . أكاد أصعق . . .

أزاهير : خفّفى عنك قليلا . لا مسوّغ لهذا كله . . . لقد كنت أناجى نفسى بما رأيت فى منامى من حلم طريف . . .

خلوب : ولماذا لم تقصّى علىّ رؤياكِ حين جئتك؟. . . إنك تقصين علىّ ما ترين فى منامك من أحلام . . .

أزاهير : لا أدرى ، وحقك . . . لا أدرى لماذا أبطأت عن إخبارك بحلمى هذا ؟ . .

خلوب : قصّى علىّ الرؤيا . . .

أزاهير : طيف زائرة ، ألمت بى فى نومى، وحدثتنى حديثاً عجَباً .

خلوب : أىّ حديث عجَب ؟

أزاهير : لا أذكر منه إلا النزر اليسير . . . لقد كان حديث الزائرة حديثاً عذباً جميلا . . . إنى مجهودة الآن يا «خلوب»

تمسك برأسها :

رأسى علىّ ثقيل . . .

خلوب : (مقبلة عليها فى إلحاح) : ولكن أى عجب فى حديث الطَّيْف؟

أزاهير : كانت الزائرة عجيبة فى زيها، فى حديثها ، فى لهجتها ..
عجيبة فى كل شىء !

خلوب : اجمعى شتات ذاكرتك ، واروى لى ما دار بينكما من
حديث . . .

أزاهير : (ممسكة برأسها تعتصره) : إنى مصدوعة الرأس . . .

تقدم « زغلولة » التابعة ، حاملة إبريقاً
وكوباً . . . .

« أزاهير » توجه الكلام « لزغلولة » :

ما هذا يا « زغلولة » ؟

زغلولة : شراب التوت يا سيدتى « أزاهير » .

أزاهير : أحسنت يا « زغلولة » بإحضار هذا الشراب . . . إنى
لفى حاجة إليه ماسة .

« زغلولة » تملأ الكوب ، وتناوله « أزاهير » ،
ثم تضع الإبريق على المائدة .

« أزاهير » ترتشف من الكوب وهى تسير هينة
الخطا حالمة .

« خلوب » و « زغلولة » ترقبانها فى اهتمام .

« أزاهير » تخطو والكوب فى يدها ، مقتربة من
باب المستشرف ، مسرحة بصرها فى عرض
الأفق ، تستنشى نسيم الليل فى ارتياح ، وضوء
القمر يمرح فى الفضاء . ثم لا تلبث أن تخرج
إلى المستشرف مستخفية فيه .

خلوب : (مهتاجة ، « لزغلولة ») : أمر جلل ، يا « زغلولة » .
زغلولة : ماذا ، يا سيدتى « خلوب » ؟
خلوب : نكبة حلت بنا . . . لا نجاة لنا من عقاب أليم . . .
زغلولة : أية نكبة ، وأى عقاب ؟ !
خلوب : (منكبة على « زغلولة ») : أزاهير » . . . « أزاهير » .
زغلولة : ما خطب « أزاهير » ؟ . . .
خلوب : لقد كذبتْ . . . لقد كذبتْ .
زغلولة : (نائحة تنتحب) : يا للفاجعة . . . يا للفاجعة . . .
خلوب : إنى لأسائل نفسى : كيف يكون وقع هذا الخبر على الزعيم ؟ . أنقضى هذه الأعوام الطويلة نُعلم « أزاهير » الفضيلة، ونلقنها الخير ، ثم يكون المصير أن تكذب ؟!
زغلولة : ما علمنا عليها من كذِب .
خلوب : لقد اعترفت لى بأنها كذبت مرة واحدة .
زغلولة : لعلها لا تعود لمثلها . . .
خلوب : من يدرى . . . لا تنسىْ أنها آدمية . . . علينا أن نضاعف جهدنا . . . علينا أن نمحو فى نفسها أثر هذه الكذبة الممقوتة !
زغلولة : وعلينا فوق ذلك كله أن نكتم ما فعلتْ ، فلا يعلم به أحد . . !

خلوب : لن يعلم أحد بشيء . كلانا يحفظ هذا السر ، ولا يبوح به لأى جنىّ . . .

تقدم « أزاهير » مشرقة تتضاحك

زغلولة : (وهى تتناول من « أزاهير » الكوب الفارغ) : لعل شراب التوت قد راقك يا سيدتى « أزاهير » .

أزاهير : شراب طيب المذاق ، وقد أتقنت صنعه . أشكر لك عنايتك .

خلوب : أراك تتضاحكين . . . أ أنت الآن أحسن حالا ؟

أزاهير : (ضاحكة): أراك تحاولين معرفة ما يضحكنى . . .

تداعب خد « خلوب »

أنت شديدة الفضول يا أستاذتى . اطمئنى . سأخبرك بكل شيء . . . عندما خرجت إلى المستشرف ألفيت حمامتين تتخطران على جداره ، ثمّ انطلقت إحداهما تجرى ، فتبعتها الأخرى تباريها ، وما لبثتا فى مراوغة ومداورة حتّى لحقت أخراهما بالأولى ، وثمّة كان بينهما شيء عجَب . . . !

خلوب : (فى فزع شديد) : ماذا كان بينهما يا بنية ؟

أزاهير : رأيتهما تقفان متواجهتين ، رأساهما متقاربان . . . وشاهدت منقاريهما قد اشتبكا وتلاصقا . . .

خلوب : (فى صوت راعش) : تلاصق منقاراهما ؟

زغلولة : لا شك أن حمامة منهما كانت تسرّ إلى أختها حديثاً . . .

أزاهير : لا . . . لا . . . قلت لك إنى رأيت المنقار على المنقار ، بل رأيت المنقار فى المنقار . . . كان منظراً جميلا يبعث فى النفس بهجة . . .

خلوب وزغلولة : (تهمهمان فى جزع) : يا للهول !

أزاهير : (متابعة قولها فى نشوة حالمة) : كل من الحمامتين كانت تصل روحها بروح الأخرى . . . تسكب الروح فى الروح . . !

خلوب : (مشدوهة ، متلعثمة) : تسكب الروح فى الروح ؟! . . . لست أدرى ماذا جعلك تظنين هذا الظن ؟ وهل يستطاع بهذه الوسيلة أن تتساكب الأرواح فى الأرواح؟

أزاهير : نعم ، هذا مستطاع . . . على ذلك الوضع يتسنى أن تتواصل الأرواح ، ويمازج بعضها بعضاً . . .

خلوب : يبدو لى يا « أزاهير » أن ذهنك اليوم مكدود . . . لقد جانبك المنطق . . . فأنت تخلطين . . !

أزاهير : ربما كان حقًّا ما تقولين . . . إنى مجهودة بلا ريب ، دعينى أنم . . .

« أزاهير » تعجل إلى مخدعها فتتمدد فيه

خلوب : نامى فى هدوء ، وخلى عنك أثقال التفكير . . . فلتنسى مداورة الحمام ، وتساكب الأرواح ؛ ولتؤنسك يا بنية هانئات الأحلام !

أزاهير : أشكر لك .

تسبل جفنيها
« خلوب » تلاطف « أزاهير » ، ثم تأخذ بيد « زغاولة » متنحية بها ركناً فى الحجرة

خلوب : لا يحوم فى أرجاء الحديقة طير بعد اليوم كائناً ما كان. أسمعت ؟ لا أريد أن أرى هنا جناح حمامة !

« خلوب » و « زغلولة » تنصرفان .
إظلام لحظات . . .
الضوء يعود . . .
« أزاهير » ، فى مخدعها مطبقة الجفنين .
القمر يتلألأ فى الحديقة ، متسللا ضوءه إلى الحجرة . يبدو الأمير « زبرجد » قادماً من المستشرف فى حلة زاهية ، وقد تقلد سيفاً إلى جنبه الأيسر . يقف بباب المستشرف ناظراً إلى « أزاهير »

أزاهير : (فى منامها تهمهم كأنها فى حلم) : تقدمى . . . تقدمى .

الأمير « زبرجد » يتقدم رفيق الخطو

زبرجد : لقد حرصت على الحضور .

أزاهير : (ما تزال مطبقة الجفنين) : لمـــاذا ؟
زبرجد : ألم ترغبي فى حضورى ؟
أزاهير : (ترفع جفنيها قليلا) : ألم يكن حضورك إلا استجابة لرغبتى ؟
زبرجد : بل لأراك مرة أخرى ، وأستمتع بهذه الفتنة الساحرة .

« أزاهير » تنهض فى تؤدة ، جالسة على المخدع .
يتابع الأمير قوله :

منذ لقائنا أمس ، لم يبرح خيالك عينى . . . إنه يملأ علىّ أقطار نفسى . . . .
أزاهير : (فى تشوف) : كيف ؟ اشرحى لى ما تقولين . . . وزيدينى بياناً . . .
زبرجد : أعترف لك يا « أزاهير » أنى بك مشغوف .
أزاهير : ماذا تقصدين ؟
زبرجد : إنى أحس لك الشوق إذا بعدت عنك ، وأحس الارتياح إذا رأيتك .
أزاهير : أمر عجيب أجده أنا أيضاً . . .
زبرجد : ماذا ؟
أزاهير : منذ وصلتَ بين روحى وروحك بهذه . . . بهذه . . .

زبرجد : (متمماً) : بهذه القبلة !

أزاهير : أجل ، بهذه القبلة . . . منذ وصلتَ بها بين روحى وروحك ، أحس أنا أيضاً هذا الشوق إذا بعدت عنى ، وأحس الارتياح حين ألقاك . . .

« زبرجد » يقبل عليها ، فتنهض من المخدع . يأخذ بيدها

زبرجد : أحقًّا ؟ أتحسين نحوى هذا الشعور اللطيف؟

أزاهير : وهل يروقك هذا ؟

زبرجد : يروقنى ، بل يسعدنى ...

أزاهير : (تتفحصه فى ابتسام) : حلة جديدة ، ما أزهاها !

تتحسس السيف :

وما ذاك ؟

زبرجد : ذاك سيفى .

أزاهير : عصا تعبثين بها ؟

زبرجد : بل أذيق بها الموت !

يناولها السيف

أزاهير : (تنظر إلى السيف فى يدها) : الموت ! ؟

تقلبه فى يديها ، فتجرده من غمده ، فيلتمع نصله .

زبرجد : حذار ، إن هذا السيف رسول الموت الأمين . . .

أزاهير : (ترفع عينيها إلى « زبرجد ») : وما الموت ؟

زبرجد : (مردداً فى حيرة) : الموت . . . الموت ضد الحياة .

أزاهير : أوضحى . . .

زبرجد : كل ما هو من خصائص الحى ، من حركة وتنفس ، ومن وحدة جثمانية لا تجدينه فى الميت .

أزاهير : إذن فالموت انقلاب فظيع !

زبرجد : بل تحول هين . تحول يطرأ على المركب فيرده إلى عناصره الأولى .

أزاهير : أشر هو ؟

زبرجد : من يدرى ؟

أزاهير : كيف لا تدرين ؟

زبرجد : قد يكون شرًّا لا بد منه ، أو خيراً لم نفقه له معنى . . ..

يأخذ بيدها يلاطفها ، ويطوف بها فى الحجرة .
يقع بصره على إبريق الشراب . يقول :

ما هذا ؟

أزاهير : عصير التوت .

زبرجد : أشرابك هو ؟

أزاهير : نعم !

زبرجد : أتسمحين لى أن أذوقه ؟

أزاهير : سأقدم لك كوباً منه .

تترع له الكوب ، وتناوله إياه

زبرجد : (يترشف من الشراب) : شراب سائغ لذيذ . لم أذق مثله فيما ذقت من ألوان الأشربة .

أزاهير : أترينه كذلك يا صديقتى؟

زبرجد : (بعد صمت) : أنا صديقك لا صديقتك !

يرنو إليها مبتسماً

أزاهير : ماذا تعنين ؟

زبرجد : أتسمحين لى أن أنبهك إلى خطإ تقعين فيه ، وأنت تتحدثين إلىّ ؟

أزاهير : أىّ خطإ تعنين ؟

زبرجد : تخاطبيننى بصيغة التأنيث !

أزاهير : لا أفهم ما تقصدين . . .

زبرجد : إن دنياك الّتى تحيين فيها كلها دنيا إناث . أما دنياى ففيها الإناث والذكور .

أزاهير : (محدقة إليه ، دهشة) : أبينى ما تقولين ، فإنى لا أفهم منه شيئاً . . .

زبرجد : إن الإنسان يا « أزاهير » نوعان : ذكر وأنثى ، وإنى من

النوع الذى لم تعرفيه فى دنياك المحدودة التى ليس فيها إلا إناث . . .

أزاهير : ولماذا كان الإنسان نوعين : ذكراً وأنثى ؟

زبرجد : لماذا ؟ لماذا ؟ . . . يا لله !

يصمت ، ويهرش رأسه

أزاهير : تريد أن تقول إنك ذكر ، وإنى أنثى ؟

زبرجد : ذلك هو الواقع يا « أزاهير » . . .

أزاهير : إنه ما لم أكن أعلم .

زبرجد : فلتحمدى لى أنى وقفتك على الحقيقة الأولى فى حياة الإنسان .

أزاهير : وأى برهان لك على أنى من نوع غير نوعك ؟ . . .

زبرجد : البرهان أن كلا النوعين يتم بعضه بعضاً ، وأنك حين لقيتنى شعرت بأنك قد وجدت تكملتك بى . . .

أزاهير : ما زال قولك غامضاً علىّ . . .

زبرجد : اسمعى يا « أزاهير » . . . أكانت مربياتك وحاضناتك يقبلنك فيما سلف من أيامك معهن ؟

أزاهير : كن يضعن شفاههن على خدى أو فمى !

زبرجد : حسن . . . أكنت تحسين لصنيعهن ما أحسست حين التقت شفتاى بشفتيك ؟

أزاهير : أصدُقك القول . . . لم أكن أستشعر لقبلات مربياتى وحواضنى ما استشعرت لقبلتك !

زبرجد : ذلك لأنك أنثى وأنى ذكر . . .

أزاهير : ولكنى أريد أن أعرف ما الفارق بين ذكر وأنثى؟

زبرجد : (فى حيرة) : ألا ندع هذا إلى حين ؟

أزاهير : (فى تحسر) : يبدو لى أنى ضايقتك بسؤالى .

زبرجد : (يأخذ بيدها فيقبلها فى شغف) : كلا ، كلا . . . ولكن دعينى أصحح خطأك . قولى : ضايقتكَ . . . كَ . . . كَ .

أزاهير : كَ . . . كَ . . . ضايقتكَ .

زبرجد : حسن . . . حسن . . .

تقبل عليه « أزاهير » وتطبع على فه قبلة مفاجئة ، ثم تتراجع حائرة .

أزاهير : (مهمهمة) : يالله ! ماذا صنعت بك ؟

زبرجد : قبلتِنى .

أزاهير : قبلتكَ . . . كَ . . . ولكن ، لماذا . . . لماذا ؟ !

زبرجد : وهل فى الأمر خفاء؟ إنك تحبيننى . . . هذا هو الحب !

أزاهير : الحب ؟! . . . قل لى : ما الحب ؟

زبرجد : الحب : امتزاج بين عنصرين ، بين نوعين . . .

أزاهير : أخير هو ؟

زبرجد : إنه بين نوعى الإنسان شر جميل .

أزاهير : شر جميل ؟ كيف يكون شرًّا وهو جميل ؟ أيتحد الضدان ؟

زبرجد : (يفكر هنيهة) : حقًّا كيف يتحد الضدان ؟

يخرج من جيبه مدية، وسرعان ما يجرح بها بطن كفه ، فينبثق الدم ، فيجمعه فى راحته

أزاهير : (ترقبه فى اهتمام) : ما هذا ؟ !

زبرجد : قطرات من دمى .

أزاهير : دمك . . . ماذا تعنى ! ؟

زبرجد : إنه دمى ، السائل الذى يغذى جسدى.

أزاهير : ولماذا ترينى إياه ؟

زبرجد : لكى تذوقيه . . .

أزاهير : أذوقه ؟

زبرجد : قلت لك افعلى .

أزاهير : (لا تكاد تذوقه حتى تقول متأففة) : ليس بالمستساغ . .

زبرجد : هذا صحيح . . . إنه كريه المذاق .

يمزج ما جمعه من دمه بشراب التوت ويقدمه لها

ذوقيه الآن . . .

يرفعها وهى تشرب :

أليس من الميسور أن يتحد الضدان . . فيكون منهما . . .

أزاهير : (متممة قوله) : مِزاج طيب مستساغ . . .

زبرجد : لم تألفى من قبل إلا الخالص المحض ، فأما الممزوج فلا علم لك به . . .

أزاهير : أى خالص محض تعنيه ؟

زبرجد : أعنى أنك تحيين فى الخير المحض ، وتحاطين بالجمال الخالص . . .

أزاهير : وأنت . . . . كيف تحيا ؟ وبماذا تحاط ؟

زبرجد : إنى أحيا فى دنياى البعيدة . . . دنيا الشر الجميل . . .

أزاهير : الشر الجميل ! . . .

زبرجد : إن دنيانا مِزاج من الشر والجمال . . . ألا ترغبين فى مشاهدتها ؟

أزاهير : (فى حيرة ونشوة) : الخير . . . الشر . . . الخير المحض . . . الجمال الخالص . . . الشر الجميل . . .

مندفعة :

عجيب أمر دنياكم هذه . . . أرغب فى مشاهدتها . . . أرغب . . .

زبرجد : تعالى . . . هنا إلى صدرى . . . تعلقى بعنقى . . . تعلقى .

تعتنقه مهتاجة .

يلفها فى عباءته السحرية ، ويخرج طائراً من
المستشرف قائلا :

إلى موطن الشر والجمال . . . إلى عالم الشر الجميل . . . !

تلتحم شفتاهما فى قبلة مضطرمة

الفصل الرابع

بهو في قصر الأمير «زبرجد»، ترف ظاهر، أنوار متألقة، جمع حاشد من رجال ونساء يرفلون فى ثياب فاخرة. موسيقى تصدح.

فى الصدر درج ينتهى بباب كبير ينفذ إلى الطبقة العليا من القصر.

فى جانب من البهو تقوم مائدة الشراب، وقد تناثر حولها بعض الجمع . . .

أصوات تعلو بالمناقشات والتحاور.

يقبل السيد «قرنفل» على الأميرة «بنفسج» ابنة عم الأمير «زبرجد» هامساً فى أذنها. يلوح الاهتمام والتطلع على محيا الأميرة. لا تلبث أن تتحدث إلى جارها . . . يتجمع حولها بعض الضيوف. تعمر الحلقة. الحديث يدور بين الجمع فى اهتمام.

الموسيقى تخفت شيئاً فشيئاً.

بنفسَج : («لقرنفل»): عجيب أيها السيد «قرنفل» أن يصدق الخبر . . . ستكون مفاجأة عجيبة !

قَرَنفل : يا سيدتى الأميرة «بنفسج» لقد صدق الخبر. إنها حقًّا لمفاجأة عجيبة، تلك التى يدبرها لنا الأمير «زبرجد»

ابن عمك ، إن الحسناء « أزاهير » فى القاعة العليا
الآن . . . هنالك .

يشير إلى السقف بأصبعه :

وقد أحاط بها من الوصائف جمع زاخر .

بنفسج : (ضاحكة فى تعجب ساخر) : ولم يا ترى هذا الجمع
الزاخر من الوصائف أيها السيد « قرنفل » ؟

قرنفل : إنهن يلبسنها الحلل الزاهية يا سيدتى الأميرة « بنفسج » ،
ويعلمنها أدب المجالسة والحديث ، مما هو من خصائص
المجتمع .

بنفسج : أعجب لهذه الفتاة ، أين كانت تعيش ؟ أهبطت علينا
دفعة واحدة من السماء ؟

قرنفل : أو هى من جهنم . . . من يعلم ؟

يتضاحك الجمع

إن « أزاهير » هذه محوطة بأسرار غامضة !

بنفسج : ليس ثمة أسرار على الإطلاق ، ألا يكون الأمير «زبرجد»
التقطها من بيئة دون بيئته ؟ . . بيئة . . .

تمسك عن الكلام ، إذ تلمح السيدة « ياسمينة »
قهرمانة القصر ، فى مشيتها المتخطرة ، يتدلى من
نطاقها العريض رزمة من المفاتيح الضخمة .

السيدة « ياسمينة » تجتاز البهوغير معنية بأحد.

الأميرة « بنفسج » تنادى :

« ياسمينة » . . . « ياسمينه » . . . تعالى .

تتقدم إليها « ياسمينة » بادية الضيق

لا تحسبى أنى أعوقك عن عملك . . . أعلم أنك — الليلة — فى شغل عظيم . وأن الأمير فى حاجة ماسة إلى معاونة قهرمانة القصر الأولى . . . إنها بضع كلمات أرغب فى الإفضاء بها إليك .

ياسمينة : (محتفظة بأنفتها) : إنى طوع أمر سيدتى الأميرة « بننسج » .

بنفسج : (محاولة أن تخفض من صوتها) : ألا تعلمين يا «ياسمينة» من أين أتى الأمير بهذه الحسناء « أزاهير » ؟

ياسمينة : لو سمعتِ ما سمعته من قول « زعرور » لما فهمت مثلى شيئاً . . . غموض يتجلى عن غموض . . . ولكن الأمر الواضح فى هذه الأميرة أن هيئتها وشارتها تخالفان ما نعهده فى بنات « حواء » . . .

بنفسج : ماذا تعنين ؟

ياسمينة : وحقك لا أدرى كيف أقول . . . أكاد أجزم بأن « أزاهير » هذه ليست من أهل هذه الأرض !

الجمع : (فى همهمة) : ليست من أهل هذه الأرض ؟

ياسمينة : لو رأيتم ما يتجلى على محياها من التهيب والحيرة والاهتياج لشملكم أشد العجب !

قرنفل : ألم تسمعيها تتكلم ؟

ياسمينة : سمعتها . . . إنها ما كادت تصل إلى القصر ، حتى انطلقت تلح على الأمير أن يعيدها حيث كانت !

قرنفل : عجيب ! لعل القصر لا يروقها . . .

ياسمينة : لست أدرى . . . إنها لم تكد تطأ حجرة الثياب ، فترى الأنوار ملتمعة على صفحات المرايا ، حتى حجبت عينيها بيديها ، وهى تقول : أين أنا الآن ؟

بنفسج : (متعالية بضحكتها الساخرة) : المسكينة بالغة السذاجة . ألم أقل : إنها من بيئة دون بيئة الأمير ؟ شد ما أحس الشفقة عليها !

ياسمينة : وما إن ارتدت الثياب الزاهية ، وازدانت بالحلى الثمينة ، واعتادت التطلع إلى المرايا ، حتى بدت عليها خفة المرح ، وما لبثت فى جيئة وذهوب رانية إلى خيالها على صفحات المرايا ، يملكها الزهو والإعجاب .

قرنفل : إنها لتجربة قاسية تلك التى تمر بها هذه الفتاة !

ياسمينة : . . . . ولما أقبل غلمان الشرف ، ليحيطوا بها حين تنزل ،

أقصتهم عنها ، وهى تصيح ملحة على الأمير أن يعود بها أدراجها حيث كانت تعيش .

تعلو الموسيقى رويداً .
الجمع يتبادلون الحديث فى خفوت
يبدو رئيس الخدم على عتبة باب الطبقة العليا ، ويدق الأرض بعصاه ثلاث دقات . الأبصار تشخص إليه . يسود الصمت

رئيس الخدم : (صائحاً) : الأمير « زبرجد » والأميرة « أزاهير »

رئيس الخدم يهبط الدرج إلى البهو ، بعد لحظة يبدو الأمير « زبرجد » آخذاً بيد « أزاهير » هابطاً بها الدرج فى تباطؤ ، وخلفهما غلمان الشرف .

« أزاهير » متشبثة بذراع « زبرجد » بادية التهيب ، تتعثر فى مشيتها منزعجة حينما يقع بصرها على الحشد .

تسر إلى الأمير رغبتها فى العودة . الأمير يلاطف يدها ويطمئنها ، يتابع معها هبوط الدرج . يعبران البهو بين سمطين من الضيوف ، يقفان فى بهرة البهو . « أزاهير » آخذة بيد « زبرجد » لا تخليها . « زبرجد » يقدم إلى « أزاهير » كبراء الضيوف . تحييهم فى سذاجة .

تهامس وتهانف وضحكات مكتومة .
الموسيقى تواصل إطلاق الأنغام .

« أزاهير » ينال منها الجهد ، يتصبب من
جبينها العرق ، يجلسها الأمير « زبرجد » على
متكإ .

« أزاهير » لا تبرح متشبثة بيده .

« قرنفل » يعجل إلى مائدة الشراب . فيجلب
منها كأساً يقدمها « لأزاهير » .

« أزاهير » تنظر إلى « زبرجد » متسائلة .

زبرجد : (« لأزاهير »): اشربى . . . اشربى .

أزاهير : (تأخذ الكأس من « قرنفل » وهى تتأملها) : أشراب التوت
هو ؟

الجمع : (يتهامسون ، ويرددون فى سخرية خافتة) : توت ؟ . . . توت؟

زبرجد : (« لأزاهير ») : إنه شراب آخر . . . ذوقيه . . .

تمتص من الكأس رشفة ، لا تستطيب الشراب

أزاهير : شراب كريه المذاق .

زبرجد : ولكنه مفيد ، يجدد القوى ، ويبدد المخاوف . . . اشربى

« أزاهير » تشرب جرعة وافية

أزاهير : أجد لهذا الشراب فى جسمى لذع النار . . .

زبرجد : لا تخشى شيئاً . . . اشربى .

« أزاهير » تتناول جرعة أخرى

أزاهير : متى تعود بى إلى قصرى ؟

الجمع : (يتهامسون) : قصرها . . . قصرها !

زبرجد : («لأزاهير») : فى الوقت الذى تشائين فيه أن نعود .

أزاهير : وأنت ؟ ماذا تصنع بعد أن تعود بى إلى القصر؟

زبرجد : سأرجع إلى قصرى . . . هنا . . .

أزاهير : (فى قلق ساذج) : هنا ؟ ! . . . أترع من ذلك الشراب كأسي !

يملأ لها الكأس فتفرغها فى فمها دفعة :

عجيب هذا الشراب !

الموسيقى تصدح عالية .
« الأمير زبرجد » يشير إشارة ابتداء الرقص . .
يتقدم فارس وفارسة يرقصان معا رقصة شرقية
« أزاهير » تتطلع فى شغف بما ترى ، ولا تلبث
أن تميل على « زبرجد » قائلة :

ماذا يصنعان ؟ ! . . . هذا شىء جميل !

زبرجد : إنهما يرقصان .

أزاهير : (فى ابتهاج ، واهتياج) : يرقصان ! ؟

زبرجد : أتريدين أن نحاكيهما فيما يصنعان ؟

أزاهير : (مسارعة) : أجل . . .

تهم بمراقصته ، ولكن سرعان ما تحس أنها
غير قادرة على المحاكاة ، لجهلها فن الرقص .

تعود إلى مكانها مستخذية ، تواجه « زبرجد »
بقولها :

املأ كأسى . املأها إلى الحافة . . .

« زبرجد » يستجيب لها .
« أزاهير » تشتف الكأس ، ثم لا تلبث أن
تطلق ضحكة مجلجلة .

زبرجد : ما هذا ؟ !
أزاهير : (وقد أغربت فى الضحك) : لا شيء . . . لا شيء. . . .
زبرجد : إنك تضحكين !
أزاهير : أحس السرور يغمر أقطار نفسى . . . ألا تحس
ما أحس ؟ !

الفارس والفارسة يمسكان عن الرقص ،
ويتركان البهرة ، فما هى إلا أن نرى الأميرة « بنفسج »
تجذب « زبرجد » سائقة إياه إلى بهرة الرقص ،
فلا يملك إلا أن يراقصها .
« قرنفل » يأخذ مكانه بجانب « أزاهير » مقبلا
عليها يحدثها .
يكمل « بنفسج » و « زبرجد » ، دورة من
الرقص .
يبدو على وجه « أزاهير » تغيظ وحنق ،
الغيرة تضطرم فى قلبها .

« قرنفل » يحاول تهدئتها عبثاً .
« أزاهير » تهب دفعة واحدة مختطفة سيف
« قرنفل » وتشهره فى يدها ، مقتحمة بهرة الرقص .
« بنفسج » تعدو صائحة مستغيثة .
« أزاهير » تضرب « زبرجد » بالسيف فتصيبه
إصابة هينة .
« زبرجد » يمسك بها ، وينتزع السيف من
يدها ، كما ينتزع الأب لعبة خطرة يتشبث بها طفله .
هرج ومرج ، وأصوات تنبعث من الجمع فى
تساؤل وعجب .

زبرجد : (صائحاًبالجمع) : انصرفوا . . . انصرفوا . . . .

الجمع يتفرق ، ومنهم من يلتفت فى منصرفه إلى
« زبرجد » و « أزاهير » فى سخرية خفيفة .

أزاهير : (مرتجفة) : ماذا فعلت ؟!
زبرجد : ضربتنى بالسيف .
أزاهير : إذن قتلتك !
زبرجد : كلا . . .
أزاهير : بل قتلتك . . . أنت الآن ميت . . . ألم تخبرنى من
قبل بأن السيف رسول المنية ؟ !

زبرجد : قلت لك : لم أمت .

أزاهير : كيف ؟

زبرجد : إن السيف فى يدك يا « أزاهير » يفقد مَضاءه !

أزاهير : لقد أتت « أزاهير » أمراً منكراً . . .

زبرجد : لم يكن لك يد فيما فعلته .

أزاهير : كيف ذلك ؟

زبرجد : إن ما فعلته من عمل الشيطان .

« قرنفل » يقدم

قرنفل : أجل . من عمل الشيطان . . . نعوذ بك يا رب من الشيطان الرجيم !

أزاهير : ما شأن الشيطان فيما عملت ؟ أنا التى ضربت بالسيف .

زبرجد : إن الشيطان هو الذى يحرك يدك .

أزاهير : أين هو الشيطان ؟ ومن يكون ؟

قرنفل : (فى تخوف) : إنه كائن غير منظور يحيط بنا أينما نكون ، ويكيد لنا دون أن نراه ، ويدفعنا إلى اقتراف المنكرات والآثام . . . إنه عدونا اللدود . . .

أزاهير : ما أفظع الشيطان ! . . . أترانى قد وقعت فى حبائله ؟ !

زبرجد : كل منا فريسة الشيطان . . . إن حياتنا صراع مرير معه

أزاهير : ترى لمن تكون الغلبة ؟

زبرجد : هذا أمر لا يعلمه إلا الله .

إظلام هنيهة . . .
عودة النور .
يبدو كهف الشياطين .
« بزعبول » فى غدو ورواح وقد استبدت به الثورة والاهتياج .
« أرقط » ماثل يرقبه فى اهتمام .

بزعبول : لقد استطاع — ابن « آدم » — أن يمكر بى على الرغم من حيطتى البالغة . استطاع أن يستلب « أزاهير » من قصرها المكين .

أرقط : هذا صحيح . ولكن ابن « آدم » غير ملوم . . .

بزعبول : (صائحاً) : من الملوم — إذن — يا « أرقط » ؟

أرقط : اللوم واقع عليها هى أيها الزعيم . . . إنها المكر المجسّم ، والخبث المصور ، هى التى رضيت أن تبرح القصر معه

بزعبول : ولكنه هو الذى دبر المكيدة ، ومهد الطريق .

أرقط : لو لم تكن هى على استعداد طبيعى لاستقبال هذا الباعث ، لما استطاع هو أن ينال مأربه .

بزعبول : (صائحاً) : قلت لك : إنه المجرم الأول .

أرقط : (صائحاً) : بل هى جرثومة المفاسد ، وأس المكايد .

بزعبول : (فى صيحة عاصفة) : بل هو . . . هو !

أرقط : بل هى . . . هى !

يهم « بزعبول » بضرب « أرقط » بالمرزبة .
فيتقدم « أرقط » مبدياً أسفه واعتذاره

أرقط : هدوءاً سيدى الزعيم، ولنتصالح . . . ليس ثمة خلاف بيننا . كلاهما مجرم أثيم . . . إنهما من أرومة واحدة ، أرومة الفساد والضلال ، أرومة الإنسان !

بزعبول : الإنسان. . . الإنسان . .. شدّ ما أحس له الكراهة والمقت !

أرقط : أؤكد لسيدى الزعيم أننا بذلنا كل ما فى الوسع أن نبذل... فلا لوم علينا ولا تثريب ، ولكنى أعجب كيف عزب عن بال الزعيم أن يرسم لغايته خطة أحكم وأحزم ؟

بزعبول : تريد أن تلقى التبعة علىّ ، وتنجو من القصاص أنت ومن معك ؟ !

أرقط : لقد تعاهدنا أيها الزعيم على الصدق والإخلاص . . . ألا أصارحك ؟

بزعبول : قل ما بدا لك . . .

أرقط : أخشى أن أقول : إن تجربتك — أيها الزعيم — قد باءت بإخفاق .

بزعبول : أخفقت التجربة من ناحية . هذا صحيح . لقد عجزنا عن تربية إنسان فاضل لا يستهويه الشر . ولكن هذه التجربة أصابت توفيقاً ونجاحاً من ناحية أخرى .

أرقط : أية ناحية تقصد ؟

بزعبول : إن التجربة أثبتت : أن الشر كمين فى غرائز البشر . . . إن قطبنا الأكبر : — تقدست فى النار ذكراه — كان على حق فيما وصف به الإنسان .

أرقط : أعترف لك — ياسيدى — أنك قد أقمت البرهان الصريح على أن الإنسان يحمل فى طيات نفسه أسباب تعاسته وأن بين يديه إسعاد نفسه أو إشقاءها !

بزعبول : وإنه يتخذ دائماً من الشيطان ذريعة يستر بها نقيصته، ويبرئ نفسه . على أنه قليلا ما يؤثر جانب التلطف بنا ، والملاينة لنا ، فيتجافى بأوزاره عنا ، يعزوها حيناً إلى الزمن ، ويرمى بها حيناً وجه القضاء والقدر . إنه — حقاً — لمخلوق عجيب !

أرقط : إنى لأسائل نفسى : لم يمعن الإنسان فى مكابرة وعناد؟ ولم لا يقر على نفسه بالحقيقة جهرة ومصارحة ، فيريح ويستريح .

بزعبول : لقد خلق كذلك مكابراً عنيداً . لا يعترف بالحق إلا

قليلا على كره وإرغام . تلك شيمة أصيلة فى فطرته ، فإذا نزعتها منه لم يصبح ذلك الإنسان إنساناً !

أرقط : مهما يكن من أمر فإنى أهنئك أيها الزعيم على محاولتك الطريفة . لقد أفدنا منها على أية حال ، وحسب التجربة أن تتمخض عن جديد من المعرفة .

« أفعوان » يقدم ، يحيى الزعيم

بزعبول : ما خطبك يا « أفعوان » ؟

أفعوان : بعثة الإفساد فى الأرض ترغب فى لقاء الزعامة الشيطانية قبل الرحيل .

بزعبول : (فى استياء) : إن صدرى — الساعة — ضائق . . . ولا أجد فى نفسى ارتياحاً للقاء تلك البعثة .

أرقط : لا بأس — يا سيدى الزعيم — بأن تأذن فى لقائها لحظات .

بزعبول : فلتقدم .

ينصرف « أفعوان » مطيعاً

« بزعبول » يتابع القول :

بعثات إفساد ذاهبة إلى الأرض ، وأخرى آيبة منها . وماذا أثمرت ؟ بئس ما أثمرت !

تسمع ضجة ومشاحنة فى الخارج .

ما هذا ؟!

أرقط : يبدو لى أن خلافاً نشب بين أعضاء البعثة .

يقدم « أفعوان »

أفعوان : (صائحاً) : بعثة الإفساد فى الأرض .

يقدم « سبائك » و « « هلاهيل » و « أنابيب»
و بعض الأعوان ، يبدو عليهم أنهم متشاكسون

بزعبول : علمت أنكم على وشك ارتحال إلى الأرض تؤدون فيها رسالة الإفساد والإضلال ، فماذا عندكم تريدون الإفضاء به إلىّ ؟ .

كل منهم يطلب الكلام بادئاً ، وأصواتهم ملتجة
يختلط بعضها ببعض ، وهم يتراشقون بنظرات حامية

أراكم فى تنازع ، ففيم نزاعكم ؟

سبائك : مثيرة النزاع « هلاهيل » !

هلاهيل : بل أنت مثار النزاع يا « سبائك » ... وإنك لتفرش طريقنا بالمتاعب والعراقيل .

« أنابيب » يخرج من صدره حفنة
من رميم العظام ويقذف بها فى فمه

أنابيب : (يلوك طعامه ، ويتكلم مجمجما وهو يشير إلى « سبائك» و « هلاهيل») :
بل هما معاً أصل كل خلاف وشجار !

بزعبول : ما الخبر ؟ !

أنابيب : (وهو على حاله يلوك الطعام ، ويتكلم فى غير وضوح) : كلاهما أعد خطة للإفساد يريد أن ينفذها ، وكلاهما يعمل على إحباط الخطة الأخرى . ولو أنصفَا لعدلا عن خطتهما جميعاً ، وأخذا بخطتى التى رسمتها . . . إنها أنجح خطة لإغواء الآدمىّ .

سبائك : هراء ما يقول ؛ إنى — أيها الزعيم — أتخذ طريقة جديدة للإفساد توائم عصرنا الحاضر ، عصر السرعة . إنها طريقة فيها تجديد شامل .

هلاهيل : لا تصدق قوله أيها الزعيم . . . إنه يتشدق بالتجديد ، وهو لا يزال يتعثر فى رجعيته ، لقد وضحت الدلائل على أنه غير مجدد ، وأكاد أقول إنى فقدت الثقة به .

سبائك : (« لهلاهيل ») : تقولين هذا لأنى أبيت أن أجاريك فيما تطلبين . . .

يوجه قوله إلى الزعيم :

إن مطالبها لا تقف عند حد . . . إنها مسرفة فى التطرف والشذوذ .

هلاهيل : (صائحة) : إن مطالبى عادلة .

أنابيب : استمعوا إلى مطالبى أنا . . . فهى خير وأهدى سبيلا . .

بزعبول : (موجهاً الكلام إلى « هلاهيل » ، و « سباثك ») : عجباً لكما !
لقد كنتما مضرب المثل فى المودة والوفاق .
هلاهيل : إنه قُلَّب لا يدوم على حال ، شد ما تتلون عاطفته ألواناً
سباثك : وإنها لطاغية فى عاطفتها الجامحة ، لها قلب « دكتاتورى »
المنزع .
أنابيب : ذنب « سباثك » أنه يريد التحرر من سطوة قلبها ،
ليعيش كما يهوى .
بزعبول : يسوءنى أن أعلم ما أنتما عليه من شقاق ! ألا من سبيل
إلى رضاً ووئام ؟
هلاهيل : إنه يعترض سبيلى فيما أنتهج من خطط . . . .
بزعبول : أية خطط تنتهجين ؟
سباثك : إنها تقصد أيها الزعيم : مشروع « التأميم » . هو مشروعها
الأصيل . وهى تطالب اليوم بإنفاذه . . .
أرقط : التأميم فكرة طائشة ، وليس لنا فيها نفع .
هلاهيل : بل فيها كل النفع ، إنها تحدّ من أنانية الفرد وجشعه ،
وتكفل العدالة للمجتمع .
سباثك : الفكرة فى جوهرها فكرة صائبة ، ولكن علينا أن نلتزم
فى إنفاذها جانب الأناة ، يجب أن نتدرج فيها ،
متخذين التجربة أساساً لنا . وعلى هدى التجارب نسير

أما إذا اندفعنا فى تعميم الفكرة طفرة واحدة، فربما أفضت بنا إلى شر جسيم، وربما انتهت بنا إلى أسوأ مما نحن عليه الآن .

هلاهيل : ما دامت الفكرة أساسها صالح فلم الإبطاء فى تنفيذها ؟

سباتك : أثبتت التجارب أن « التأميم » لايؤتى ثماره الطيبة إلا إذا تولته أيد نقية ، وضمائر حية ، ونفوس راضية مرضية، تعمل لوجه الخير ، وتنشد صالح المجتمع. فأين منا المواطنون الذين تتوافر لهم تلك الأيدى والضمائر والنفوس؟..

هلاهيل : إذا أحسنا الاختيار لم نعدم بيننا هؤلاء المواطنين . . .

أنابيب : (صائحاً) : لا اعتراض لى على مبدإ « التأميم » .

سباتك وأرقط : (دهشين فى صوت واحد) : أنت !

أنابيب : أوافق على شرط . . .

بزعبول : وما شرطك أيها السيد « أنابيب » ؟

أنابيب : أن نبدأ بتأميم أهم شىء فى المجتمع . . .

هلاهيل : ماذا تقصد بقولك ؟

أنابيب : (صائحاً مجلجل الصوت) : أقصد تأميم « الحب» !

همهمة ، وصيحات خافتة ، بين مؤيد ومعارض

هلاهيل : ما هذا التخليط ؟

أنابيب : ليس تخليطاً ما أتفوه به . إنه الصواب عينه ، يجب

« تأميم » الحب !

بعض الجمع : (فى صيحة واحدة) : يجب « تأميم» الحب !

أنابيب : أثمة شيء يعبر عن الأنانية والاحتكار والاستغلال أكثر من الحب ؟

سباثك : لا فض فوك !

ضجة بين معارض وموافق

أنابيب : الحب أكبر « رأسمالية » عاطفية .، فيجب الحد من سلطانه !

أحد الأعوان : (صائحاً) : يجب أن يكون الحب ملكاً للأمة ، حقاً للشعب .

آخر من الأعوان : (فى صيحة) : فليسقط احتكار العواطف .

ثالث من الأعوان : القلب لمن يحبه . . . الحب للجميع ! . .

تنشب بين أعضاء البعثة الثلاثة مناقشة عنيفة ، تنتهى بهم إلى الملاكمة

أرقط : (متدخلا بين المتلاكين) : ألا تستحون ؟ . . . أين أنتم ؟ !

بزعبول : (صائحاً ، رافعاً المرزبة فى يده مهدداً) : إليكم عنى . . . لقد طفح الكيل . . . إليكم عنى . . .

البعثة ترتاع ، وتتهيأ للهرب

ألم تسمعوا أمرى ؟ ألم تفقهوا قولى ؟ خروجاً . . .

خروجاً . . . هيا . . . هيا . . .

يثور على أعضاء البعثة بالمرزبة ، فيلوذون بالفرار . . . .

« أنابيب » يتعثر فيسقط مضطرباً ، ولا يستطيع الفرار لشدة رعبه ، يقدم حارسان فيجرانه جراً وهو يتصايح .

« بزعبول » مختل الخطو فى جيئة وذهوب ، يسرع إليه « أرقط » بقدح من الشراب ، فيجرعه دفعة واحدة . يراجعه هدوءه رويداً

بزعبول : إن ما يمر بى من المشاهد ، ليثبت لى أمراً غاب عن بالنا دهراً . . . نحن نبعث البعوث لإفساد غيرنا ، لأننا عاجزون عن إصلاح نفوسنا ، وإنه لضعف ظاهر فينا لا مرية فيه .

أرقط : أتعنى أيها الزعيم أن نلغى هذه البعثة ؟ !

بزعبول : ولم لا ؟ فلنلغها .

أرقط : حذار أيها الزعيم . . . إنك بذلك تعفى عشيرتنا من مهمة يتحمسون لها ، ويجدون فى مزاولتها تيهاً وعجباً .

بزعبول : أمن أجل هذا يا « أرقط » تريد أن نبقى على شىء استبان لنا عجزه ؟ لقد أيقنا أن الإنسان فاسد بطبعه . فلندع البشر ، ولنقبل على أنفسنا بادئ بدء . . . ماذا نهضنا

به حتى اليوم من إصلاح ؟ لقد أفلحنا فى المهاترات والمشاغبات ، ولم يكن هتافنا بالتجديد إلا تشدقاً ودعوى . . . . وها نحن أولاء نصيح بالمطالب تلو المطالب ، لا يجتمع أمرنا على عمل مثمر . . . ويا ليتنا فرغنا لأنفسنا نعالج شئوننا . . . ولكننا أقحمنا أنوفنا فى شئون غيرنا . . . ندعى إفساد « ابن آدم » حيناً ونسمو إلى إصلاحه حيناً آخر . . . ماذا كسبنا من عنائنا فى محيط البشر ؟ فلننفض من هذا العبث أيدينا ، ولننظر فى صوالحنا إن كنا فاعلين !

أرقط : إذن ندعو « مجلس التشريع والأحكام » لتحديد الخطة الواجبة الاتباع . . .

بزعبول : مجلس التشريع . . . مجلس الأحكام !

يتضاحك فى استهزاء

كفى ما أفدنا من مجلسكم العظيم . . . ما زلتم قوماً تهزلون !

يعلو ضحكه على نحو بشع يشيع
الرهبة فى كهف الشياطين .

ســـتارة الختام


تصدر كل يوم خميس
مغامرات
قصص
ثقافة
تسلية
تصدرها دار المعارف بمصر
تطلب من باعة الصحف والمكتبات

اقرأ

ظهرت حديثاً :

الطبعة الثانية من كتاب

مذكرات دجاجة

للأستاذ إسحق موسى الحسيني

الكتاب رقم ٨ من سلسلة اقرأ

الثمن ٥ قروش

أسرع بطلب نسختك قبل نفاد الطبعة

دار المعارف بمصر

المركز الرئيسى ٥ شارع مسبيرو بالقاهرة ت٤٩٨٦٨

فرع الفجالة ٩ شارع كامل باشا صدقى ت٤٩٨٦٦

فرع الإسكندرية ٢ ميدان محمد على بالإسكندرية ت٢٣٥٨٨

س. ت. ٥٢١٢١

اقرأ

ظهرت حديثاً :

الطبعة الثانية من كتاب

شفاء النفس

للدكتور يوسف مراد

الكتاب رقم ١٠ من سلسلة اقرأ

الثمن ٥ قروش

أسرع بطلب نسختك قبل نفاد الطبعة

دار المعارف بمصر

المركز الرئيسى ٥ شارع مسبيرو بالقاهرة ت ٤٩٨٦٨

فرع الفجالة ٩ شارع كامل باشا صدقى ت ٤٩٨٦٦

فرع الإسكندرية ٢ ميدان محمد على بالإسكندرية ت ٢٣٥٨٨

س. ت. ٥٢١٢١